المقتطف

الجزء السادس من المجلد السابع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٤ صفر سنة ١٣٢٠

تتويج ملك الانكليز

يصل هذا الجزء الى القراء ومدينة لندن اكبر عواصم الدنيا قائمة قاعدة استعداداً لتتويج ملكها ولا بدَّ من ان تنشر الجرائد اليومية وصف ما يجري من الاحتفال وقت التتويج فرأينا ان نمهد لهُ تمهيداً وجيزاً في هذا الجزء ذاكرين بعض ما تفيد معرفتهُ من هذا القبيل فنقول

ولد الملك ادورد السابع في قصر بكنهام في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٤١ فهو كهل الآن في الحادية والستين من عمرهِ ودرس في مدرسة آكسفرد الجامعة وفي مدرسة كمبردج ومدرسة ادنبرج الجامعة ونال من كلٍّ منها لقب دكتور في الشرائع المدنية وأُعطي هذا اللقب من مدرسة دبلن ومن مدرسة كلكتا . والذين طالعوا خطبتهُ في المقتطف في بعض الحفلات العلمية كالحفلة باستلام تمثال هكسلي والحفلة بانشاء التذكار للسر جون لوز رأوا فيها ما يشفُّ عن رغبة صحيحة في العلم وميل طبيعي الى اكرام اهلهِ كأنهُ ورث ذلك عن المرحوم والدهِ ويقول المحققون ان لهُ مشاركة في كل العلوم والفنون على انواعها

واقترن سنة ١٨٦٣ بالبرنسيس الكسندرا ابنة ملك الدنمارك ولهما الآن ابن وحيد وهو برنس اوف ويلس وثلاث بنات اثنتان منهما متزوجتان وواحدة عزباء

ويتوَّج ملوك الانكليز في كنيسة وستمنستر . وهي من افخم كنائس الانكليز واقدمها بناها الملك ادورد المعترف سنة ١٠٥٠ وكان قد نذر ان يزور قبر بطرس الرسول في رومية ثم منعهُ رجالهُ عن ذلك فبنى هذه الكنيسة غربي لندن بدلاً من زيارة رومية وتمَّ بناؤُها سنة ١٠٦٥ وهي اول كنيسة مصلَّبة في مدينة لندن

وتتويج الملوك حديث في اوربا ابتدأ سنة ٨٠٠ للميلاد حينما توَّج البابا ليون الثالث الملك

تشارلمان واول مَن تُوّج من ملوك الانكليز في وستمنستر هو وليم الظافر توج في ٢٥ دسمبر سنة ١٠٦٦ ثم توج فيهِ سائر الملوك الذين جاءُوا بعدهُ كما ترى في هذا الجدول

تتويج وليم الظافر سنة ١٠٦٦	تتويج هنري السابع سنة ١٤٨٥
« وليم روفس « ١٠٨٦	« « الثامن « ١٥٠٩
« هنري الاول « ١١٠٠	« ادورد السادس « ١٥٤٧
« اسطفانوس « ١١٣٥	« ماري « ١٥٥٣
« هنري الثاني « ١١٥٤	« اليصابات « ١٥٥٩
« البرنس هنري « ١١٧٠	« جمس الاول « ١٦٠٣
« ركاردس الاول « ١١٨٩	« تشارلس الاول « ١٦١٦
« يوحنا « ١١٩٩	تعيين كromwell حامياً « ١٦٥٧
« هنري الثالث « ١٢٢٠	تتويج تشارلس الثاني « ١٦٦١
« ادورد الاول « ١٢٧٤	« جمس الثاني « ١٦٨٥
« « الثاني « ١٢٩٦	« وليم وماري « ١٦٨٩
« « الثالث « ١٣٢٧	« حنّة « ١٧٠٢
« رتشرد الثاني « ١٣٧٧	« جورج الاول « ١٧١٤
« هنري الرابع « ١٣٩٩	« جورج الثاني « ١٧٢٧
« هنري الخامس « ١٤١٣	« جورج الثالث « ١٧٦١
« « السادس « ١٤٢٩	« جورج الرابع « ١٨٢١
« ادورد الرابع « ١٤٦١	« وليم الرابع « ١٨٣١
« رتشرد الثالث « ١٤٨٣	« فكتوريا « ١٨٣٨

فقد تتوَّج في هذه الكنيسة كل ملوك الانكليز وملكاتهم من حين انشائها الى الآن وتتوَّج فيها ايضاً نساءُ ملوكهم من عهد الملك وليم وماري سنة ١٦٨٩ ومن ثم وضعت كرسي للملكة بجانب كرسي الملك

ولا تقتصر هذه الكنيسة على انها الهيكل الذي يتوج فيهِ الملوك بل هي ايضاً المدفن الذي دفن فيهِ ملوك الانكليز وكثيرون من عظمائهم من الوزراء مثل فوكس وبامرستون وغلادستون والعلماء مثل نيوتن وستانهوب وهرشل والشعراء مثل شكسبير وملتون وبوب والاطباء مثل هنتر ودافي وينغ

وهي من اكبر الكنائس كما تقدَّم طولها من الخارج مع ما يتصل بها ٥٣٠ قدماً وارتفاع البرج الغربي من برجيها ٢٢٥ قدماً وطول الرواق الاوسط من اروقتها ١٦٦ قدماً وعرضهُ ٣٠ قدماً وارتفاعهُ ١٠١

وفي صباح يوم التتويج يسير الملك والملكة بموكب حافل جدًّا الى هذه الكنيسة فيدخلانها والمرتلون يرتلون فصلاً من مزامير داود حيث قيل فرحتُ بالقائلين لي الى بيت الرب نذهب هناك استوت الكراسي للقضاء كراسي بيت داود اسالوا سلامة اورشليم ليسترح محبوكِ ليكن سلام في ابراجكِ راحة في قصوركِ . ويجلسان في كرسيهما ويتقدَّم رئيس اساقفة كنتربري ويلتفت الى الجهات الاربع ويخاطب الجمع قائلاً ايها السادة اني اقدم اليكم الملك ادورد السابع ملك هذه المملكة الذي لا ريب فيهِ فهل تشاؤون ان تخضعوا لهُ . فينادي الجميع قائلين ليحيَ الملك ادورد ويرتلون الترنيمة الوطنية ويكون احد الاساقفة حاملاً التوراة والكاس والصحفة فيضعها على المذبح ويُبسَط للملك بساط مزركش بالذهب على درج المذبح فيتقدم ويركع عليهِ ويقدم تقدمتهُ الاولى وهي بساط مذهب وشذرة من الذهب وزنها رطل ويصلي رئيس الاساقفة ويعظ اسقف لندن ويقسم الملك يمين الطاعة لدستور المملكة على هذه الصورة

رئيس الاساقفة — أتعِدُ وتقسم ان تحكم شعب الممالك المتحدة بريطاليا العظمى وارلندا والاملاك التابعة لها حسب القوانين التي اقرَّ عليها مجالس النوَّاب وحسب شرائع البلاد وعاداتها

الملك — نعم اعد بذلك

رئيس الاساقفة — اتبذل كل جهدك في اجراء القانون بالعدل والرحمة في كل احكامك

الملك — نعم

ثم يسألهُ رئيس الاساقفة عمَّا اذا كان يبذل جهدهُ في الاحتفاظ بحقوق الكنيسة الانكليزية . ولا ندري هل يطلب منهُ ما طلب من امهِ او يوجز فيهِ حسبما طلب اصحاب الكنائس الاخرى

ثم ينهض عن كرسيهِ ويمشي وسيف المملكة محمول امامهُ حتى يصل الى المذبح فيركع ويضع يدهُ على الانجيل ويقول اني اقوم بما وعدتُ بهِ الآن فليساعدني الله . ويمضي صورة اليمين ويعود الى كرسيهِ ويطلب رئيس الاساقفة من الله قائلاً اللهمَّ الاب القدُّوس الذي بالمسح بالزيت جعل الملوك والكهنة والانبياء يعلّمون شعبك اسرائيل ويحكمونهم باركْ وقدّس خادمك ادورد الذي سيمسح الآن بالزيت ويكرَّس ملكاً لهذه المملكة . قوّهِ بالروح القدس المعزي وثبتهُ بروحك الملكي روح الحكمة والولاية روح المشورة والقوة روح المعرفة والصلاح واملأهُ يارب

صورة الملكة فكتوريا وهي تقسم على التوراة وقت تتويجها

الملكة الكسندرا

ادورد السابع

بروح الخوف الطاهر من الآن والى الابد آمين

ويقوم الملك ويتقدَّم الى المذبح ثانيةً محفوفًا باعوانهِ ويلبس حلَّة من الارجوان وينتقل من هناك الى كرسي الملك ويجلس عليهِ ويحمل اربعة مظلَّة فوق رأسهِ ويصبُّ رئيس الاساقفة قليلاً من الزيت المقدَّس في ملعقة ويمسح بها قمَّة رأسهِ وراحتي يديهِ وهو يقول انك تُمسَح ملكًا كما مُسح الملوك والكهنة والانبياء . وكما مسح صادوق الكاهن وناثان النبي سليمانَ ملكًا كذلك تُمسح انتَ وتبارَك وتكرَّس لهذا الشعب الذي اعطاك الرب الهك لتملك

ثم يقدَّم لهُ المهازان وسيف المملكة فيرد المهمازين الى المذبح ويعطي السيف الى من يضعهُ في الخزانة ويقدَّم لهُ سيف آخر فيعطيهِ الى رئيس الاساقفة فيضعهُ هذا على المذبح ويطلب من الله الطلبة الآتية

اسمع طلباتنا يارب واعضد خادمك الملك ادورد لكي لا يتقلَّدالسيف عبثًا بل يستعملهُ لخادم لله لارهاب عمَّال الشر وقصاصهم وحماية عمَّال الخير ومساعدتهم . ثم يأخذ السيف من علي المذبح ويمشي معهُ الاساقفة فيسلمهُ للملك قائلاً خُذْ هذا السيف الملكي الذي أُتي بهِ اليك من مذبح الله وسلمك اياهُ اساقفة الله وخدَّامهُ. فاجرِ بهِ العدل وامنع نمو الشر وارحم الارامل والايتام وجددْ ما حلَّ بهِ الخراب واحفظ ما تجدَّد واصلحْ ما اختلَّ وثبِّتْ ما هو صالح لكي تتمجَّد في كل فضيلة

ويعيد الملك السيف الى المذبح ثم تقدَّم لهُ الحلة الملكية والكرة ويخاطَب هكذا : خذهذه الحلة وهذه الكرة وليملأك الرب الهك بالمعرفة والحكمة والعظمة والقوة وليلبسك ثوب البر ورداء الخلاص

ثم يلبسهُ رئيس الاساقفة خاتم الملك ويضع في يمنهِ صولجانًا وعلى رأسهِ صليب قائلاً اقبض على صولجان الملك رمز السلطة والعدل. ويضع في يسارهِ صولجانًا آخر على رأسهِ حمامة قائلاً هذا قضيب الانصاف والرحمة والله الذي منهُ كل مشيئة طاهرة وكل مشورة صالحة يرشدك ويعينك في القيام بالمهام المنوطة بك كن رحومًا ولكن لا تكن مبيحًا واعدل ولكن لا تنسَ الرحمة . احكم بالعدل ووبخ بالانصاف ولا تراعِ وجوه الناس . حط المتكبّر وارفع المتواضع وقاصّ الشرير وارحم البار وقُدْ شعبك في الطريق الذي يجب ان يسيروا فيهِ واقتدِ بمثال من قال عنهُ النبي داود احببتَ البر وابغضت الاثم قضيب استقامة قضيب ملكك

وحينئذٍ يقف رئيس الاساقفة امام المذبح ويمسك تاج القديس ادورد بيدهِ ويقول اللهمَّ الذي يتوّج عبيدهُ الامناء بالرحمة والمحبة أنظر الى عبدك هذا ادورد الملك الذي حنى

رأسهُ امام عظمتك المقدسة وكما تضع على رأسهِ اليوم تاجًا من الذهب الابريز افض نعمتك السموية على قلبهِ وكالهُ بكل الفضائل السامية التي يزدان بها المنصب العالي الذي رفعتهُ اليهِ

ويأتي دِين وستمنستر بالتاج فيأخذهُ رئيس الاساقفة منهُ ويضعهُ على رأس الملك. وتركع الملكة امام الملك فيضع تاجًا على رأسها ثم يجلس على عرشهِ وتجلس هي على عرشها بجانبهِ وحينئذٍ يضع امراء المملكة وعظماؤُها تيجانهم على رؤُوسهم

ثم يقدم رئيس الاساقفة نسخة من التوراة الى الملك ويطلب منهُ ان يرتشد بارشادها وينصحهُ نصائح أُخرى ويقسم لهُ يمين الطاعة قائلاً انا فلان رئيس اساقفة كنتربري (ويعيد هذا الكلام سائر الاساقفة ذاكرًا كلٌّ منهم اسمهُ) اكون امينًا مخلصًا لك ايها الملك ولخلفائك الملوك والملكات. ويتلوهُ وليُّ عهدهِ واخوهُ وسائر الامراء ثم الاعيان من رتبة دوق ومركيز وارل وفيكونت وبارون ويرفعون تيجانهم عن رؤُوسهم حينما يلمسون يدهُ

ويتلو ذلك الاشتراك بالاسرار ثم يخرج الملك والملكة ويعودان الى قصرهما وتاجاهما على رأسيهما ولا يلبسان التاج قبل تتويجهما رسميًّا

واكثر حفلة التتويج ديني كانها حفلة دينية محضة مثل سيامة اسقف او قسيس ويقول كثيرون من الانكليز ان لملكهم صفة دينية يكتسبها بهذا التتويج او التكريس ولهم في ذلك مجادلات كثيرة

والكرسي الذي يجلس عليهِ الملك وقت تتويجهِ قديم من عهد الملك ادورد المعترف تحتهُ حجر يقال انهُ الحجر الذي نام عليهِ يعقوب ابو الاسباط في برية لوز نُقل الى اسبانيا اولاً ثم الى ارلندا وكان ملوك ارلندا يجلسون عليهِ حين تتويجهم. ونقل من ارلندا الى اسكتلندا سنة ٣٣٠ قبل الميلاد ونقلهُ الملك ادورد الاول الى لندن سنة ١٢٩٠. وقيل بل هذا الحجر من مصر وهو شبيه بالحجر الذي قطع منهُ عمود السواري في الاسكندرية. والكرسي من خشب السنديان قائم على اربعة اسود رابضة واعلى ظهرهِ مثلث فيهِ نتوات بارزة منهُ

ولامراء الانكليز تقاليد قديمة يجرون عليها في هذا الاحتفال فواحد منهم يدعي ان لهُ الحق ان يسقي الملك خمرًا في كاس من الذهب ويأخذ الكاس اجرتهُ وواحد يدعي ان بهِ يناط حمل المنديل الذي يمسح بهِ الملك يديهِ قبلما يأكل وواحد انهُ يأتي الملك بصقرين قبل يوم تتويجهِ ونحو ذلك من المزايا التي يتوارثها امراء الانكليز خلفًا عن سلف

اما نظام الموكب في سيرهِ الى كنيسة وستمنستر فعلى ما كان وقت الاحتفال في تتويج الملكة فكتوريا هكذا

فرقة من الحرس الخاص (لَيْف غاردز) . مركبات وكلاء الدول وسفرائهم حسب اقدميتهم .
اثنتا عشرة مركبة ملكية يجر كلاً منها ستة جياد وفي كل منها اربعة من رجال البلاط .
فرقة من الحرس الخاص (لَيْف غاردز) وفرقة من الفرسان واركان الحرب ثلاثة ثلاثة ثم اركان حرب الملك واناس آخرون من حاشيتهِ وبطانتهِ وستة من جيادهِ يقودها اثنا عشر من السيَّاس ورجال غيرهم من قواد الجيش

ثم مركبة الملك والملكة يجرها ثمانية من الجياد المطهمة ووراءها قواد آخرون وفرَق من الحرس وكبار رجال البلاط ورؤساء الاساقفة والامراء اعضاء العائلة المالكة وهم بالارجوان الملكي وتيجانهم محمولة امامهم وكذلك العائلة المالكة وهلمَّ جرًّا الى آخر الموكب

ولبس اعيان الانكليز للتيجان وقت تتويج ملكهم عادة قديمة فان كل واحد من الاعيان رجالاً ونساء من رتبة دوق الى رتبة بارون (لورد) يلبس تاجاً خاصًّا برتبتهِ حينما يوضع التاج على رأس الملك . وحبُّ التحلي قديم في نوع الانسان لان الحلى قبل الحلل كما ابنَّا غير مرة اي ان الناس كانوا يلبسون الحلى قبلما صاروا يلبسون الثياب ولا يخفى ان الرجال قلَّلوا من استعمال الحلى الآن ولكن النساء اكثرن من استعمالها ولذلك بقي حبها في نوع الانسان فلا عجب ان اتجهت عناية اعيان الانكليز في هذه الايام الى عمل التيجان الجديدة واصلاح القديمة لا سيما وان تسعة اعشارهم لم يلبسوا تاجاً قط لطول الزمن الذي عاشتهُ ملكتهم ولانهم لا يلبسون التاج الاَّ في تتويج الملوك او اذا رقوا الى درجة الاعيان حديثاً . والنساء منهم وقعنَ في حيرة ولا حيرة الضب لان الزي المتَّبع الآن في عقص الشعر لا يسهل معهُ وضع التاج فوقهُ ولا يسع المكان غلماناً يوضعون التيجان على رؤُوس سيداتهم كما كانوا يفعلون قبلاً فطلبنَ ان يؤْذن لهنَّ في وضع تيجانهنَّ قبل المجيء الى حفلة التتويج لان وضعها يقتضي عناية خاصَّة امام المرآة او بيد الماشطات ولا يبعد ان يجاب طلبهنَّ او طلب بعضهنَّ

اما تاريخ تتويج الاعيان فمختلف فيهِ قال بعضهم ان الملك هنري الثالث اول من سمح بلبس التاج للذين في رتبة الارل وهنري الثامن اول من سمح بهِ للذين في رتبة الفيكونت وتشارلس الثاني للذين في رتبة البارون . وقال آخر ان السر روبرت سسل ارل سلسبري اول من لبس التاج وذلك سنة ١٦٠٢ في تتويج الملك جمس الاول وقال غيرهُ بل ان لبس التاج للذين في رتبة الارل سُمح بهِ في عهد الملك ادورد الثالث

ولما سُمح بلبس التيجان للاعيان كانوا يتأنقون فيها حسبما يشاؤُون فيلبس الارل تاجاً مثل تاج الدوق او افخر منهُ اذا شاء لكن الملك تشارلس الثاني ميَّز بين تيجان الاعيان وحدَّد لكل

فريق منهم تاجاً خاصاً بهِ ولم يتغيَّر ما حدَّده ُ بعد ذلك الاَّ تغيرًا طفيفًا فبقيت تيجان الاعيان على حالٍ واحدة منذ نحو ٣٥٠ سنة الى الآن

وقد يُظن لاول وهلة ان التاج من هذه التيجان حلية غالية الثمن لما هو مشهور عن غنى الانكليز . وليست الحال كذلك لان التاج منها قلما يكون ثمنهُ اكثر من عشرين جنيهًا وتاج البارون مثل تاج الدوق من هذا القبيل . والتيجان كلها مصوغة دوائرها من الفضة المذهبة والقبعة التي فيها من المخمل الاحمر مبطنة بالفرو ولا يسمح بترصيعها باللؤلوء او بالحجارة الكريمة على الاطلاق . ويفرق بينها هكذا :

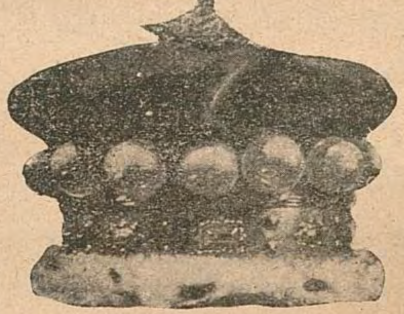

تاج الفيكونت

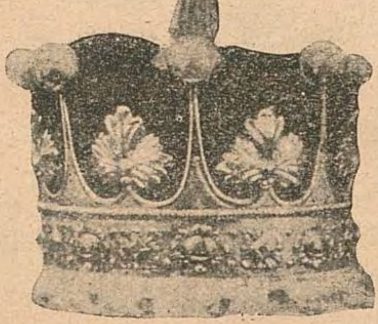

تاج الارل

في تاج البارون ست كرات فضيَّة على دائرهِ . وفي تاج الفيكونت ست عشرة كرة وفي تاج الارل ست كرات عالية بينها ست اوراق ذهبيَّة تماثل ورق التوت النباتي (الستروبري). وفي تاج المركيز اربع كرات واربع اوراق وفي تاج الدوك ثماني اوراق لا غير . اما تاج الملك والملكة فمن الذهب الابريز كثير الجواهر الثمينة وقد كان في تاج الملكة فكتوريا من الحجارة الكريمة ما ثمنهُ ثلاثة عشر الف جنيه

قال احد الكتَّاب في مجلَّة لندن ان كثيرين من اعيان الانكليز سيلبسون تيجان اسلافهم وقت التتويج وقد جربوها فلم يجدوها صغيرة بل وجدوا اكثرها كبيرًا دلالة على ان رؤوسهم مثل رؤوس اسلافهم او اصغر منها فان كان العقل يكبر بكبر الدماغ ويصغر بصغرهِ فلم تكبر عقول الاعيان بنوع عام بل بقيت على حالها او صغرت لكن الحكم على العقل من جرم الدماغ غير مثبت كما اتضح بالاستقراء على ما ابنَّا في الجزء الماضي

نشأة اوربا المدنية

وما ادراك ما هي نشأة اوربا . هي تلك النهضة العجيبة التي علا في جو التاريخ الحديث منارها فبلغت شأوًا رفيعًا عديم المثال في ما سبق . حتى اصبحت قابضةً على ازمّة السيادة في عالم السياسة والادب والصناعة والتجارة والدين وفي كل دوائر الاجتماع الانساني مع انها اصغر القارات اتساعًا واوطأها جبالاً واقصرها انهارًا واقلها مواردًا للسعة واحدثها عهدًا في العمران

واذا ارسلنا النظر في صفحات التاريخ المعروف نرى ان الاوليَّة في السيادة والارتقاء كانت لافريقية في وادي نيلها حيث نشأت المدنيَّة وتصدَّرت افريقية في مجالسها نحوًا من الف سنة على ما يقال . وتلاها في عرش السيادة المدنيَّة اسيًا في وادي الفرات حيث نشأت الدول الاشورية فالبابلية فالمادية فالفارسية نحوًا من الف سنة ولكنها مع اتساع دائرة سلطانها لم تبلغ شأو العظمة المصرية في الادبيات وفروعها

وسنة ٣٣٢ قبل التاريخ المسيحي رفعت اوربا اخمصها وداست كبرياء اسيًا وسلبت منها صولجان الرئاسة وذلك في معركة اربيلا التي فيها احرز الاسكندر فوزًا مبينًا على داريوس الفارسي وظلت اوربا الشرقية الجنوبية حامية الميدان في سوق المدنية والآداب نحوًا من الف سنة . ولا نشطُّ عن الصواب اذا قلنا بتفوُّق الامَّة اليونانية في هذه الفترة على الامَّة المصرية وعلى كل الامم السالفة في كل اركان الحضارة والآداب

ثم نشأت في الجنوب الغربي من اسيًا قوَّة جديدة عجيبة هي قوَّة العصبية الاسلامية وهذه ايضًا كان لها دور مهم ونازعت اوربا الرئاسة المدنية والادبية وغلبتها في الاثنتين فنشرت الويتها بسرعة غريبة على شطوط البحر المتوسط الشرقية والجنوبية اعني انها امتلكت غربي اسيًا وشمالي افريقية. وعبرت بوغاز جبل طارق وامتدت في الجنوب الغربي من اوربا المعروف ببلاد اسبانيا. ولا زالت حتى بلغت جبال البرينز الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا . وعبرتها قاصدة امتلاك فرنسا وسائر اوربا ولكنها ارتدت من هنالك راجعة بعد ان اسست في بلاد الاندلس (اسبانيا) ملكًا اثيلاً فدارت حول اوربا وهاجمتها من الجانب الشرقي الجنوبي فافتتحت القسطنطينية ومكدونيا وبلغاريا والفلاخ والسرب والبوسنه والهرسك حتى بلغت اسوار ڤينا عاصمة النمسا ومن هناك ارتدت ايضًا

وحينئذٍ انبلجت انوار النشأة الاوربية وبزغت اشعَّة التاريخ الحديث الذي فيهِ اصبحت

اوربا مالكة اعنَّة السيادة العمومية من غير منازع . ولا نعلم الى متى يكون هذا الانفراد لها ومن سيخلفها في ميدان السيادة

وليس من غرضي الآن النظر في التمدن الاوربي من حيث هو ولا في اسباب الانحطاط المدني في اسيا. انما اقصد البحث في اسباب النشأة الاوربية الحديثة على قدر ما يمكن من الاختصار وادعو تلك الاسباب اركانًا . وهي حرية بالبحث عنها والتمعُّن فيها نظرًا لما في ذلك من اللذة العقلية والفائدة العملية

والبحث عن العلل من غريزيات الطبع البشري . فانك اذا رأيت شجرة كبيرة الحجم غليظة الساق طويلة الفروع زاهية زاهرة تعلم ان وراء تلك النضارة الخارجية جذورًا عميقة متشعبة قد انبثت في التراب الى اعماق متباينة استمدَّت منهُ الغذاء وارسلتهُ في قنوات داخلية معينة لهذا العمل حسب حكمة باريء الوجود. وان تلك القوة هي علَّة ما ترى في الشجرة من العظمة والنضارة

والتمدن الاوربي او المدنية الاوربية تلك الشجرة العظيمة الطويلة الاغصان الناضرة الزاهرة التي يتآوى في اظلالها اكثر من اربعمئة مليون اغصانها القوات السياسية واوراقها القراطيس المالية وازهارها الآداب والفنون واثمارها الحياة المدنية المنتظمة لا بدَّ لها من جذور عميقة منبثة في تربة التاريخ قد استمدت لها القوة للخصب والنماء . وساتحرَّى البحث في تربة التاريخ لاكتشاف الاسباب المعدة والمتممة بحسب تفاوتها بعدًا عن ظهور النشأة الحديثة وتأثيرها فيها

الركن الاوَّل المدارس

اريد بها المدارس التي أُنشئت في اوربا حسب نظام مخصوص لتكون موارد الآداب والفنون وقد قصدها جماعات الدارسين حينًا بعد حين واستقوا من سواقيها مياه الحياة الادبية الصافية . ولربما تكون المدارس من اعمق الجذور في شجرة النشأة الاوربية واعظمها تأثيرًا فيها لانها ضاربة في اعماق التاريخ الى قاب القرون المظلمة . فان مجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٦ لاغراض دينيَّة قد حثَّ على انشائها . ولكنها لم تبرز الى حيز الوجود او تندرج في سلك الانتظام الى عهد شارلمان امبراطور الدولة الرومانية الغربيَّة التي انقسمت بعد وفاتهِ الى فرنسا وايطاليا والمانيا فلمَّا ابتغى شارلمان ترقية داخلية ممالكتهِ عمد الى انشاء المدارس وتعزيز جانبها لانهُ رأى بثاقب رأيهِ انها من خير الوسائل لبلوغ الارب . وذلك يوضح لنا انهُ كان في ذلك الامبراطور عقل واسع وقلب حكيم يعز وجودهما في غيرهِ من العظماء في اجيال التاريخ الماضية وبهذا الاعتبار كان شارلمان الكوكب الساطع في ليل الاجيال المظلمة يشعُّ على روابي اوربا انوار المعارف الادبية . وقد ساعد شارلمان في عملهِ المبرور هذا الاسقف الكوين البريطاني

والاسقف اكليمنضس الارلاندي لكن نُسِبَ العمل اليهِ وحدهُ لما لا تخفى على اللبيب معرفتهُ . وفي كل الحوادث التاريخية نقف على حوادث عظيمة نُسبت الى بعض محدثيها دون الذين لهم اليد الطولى في ايجادها . وليس ذلك من اغراض بحثنا هذا

ومع ان شارلمان اسَّس المدارس لم تبلغ في ايامهِ ارقى ذرى مجدها بل بلغت ذلك بالنمو التدريجي الذي هو المنهج الطبيعي في كل ذوات الحياة ولم تبلغ الشأو الرفيع حتى بعد وفات منشئها بثلاثة قرون وكان عصرها الذهبي القرن الثالث عشر والرابع عشر كما سيجيء

ومات شارلمان وانقسمت دولتهُ وحبط مشروعهُ الثيوكراتيكي (المشروع الثيوكراتيكي عبارة عن انشاء مملكة تعم جميع العالم تحت رئاسة الله) لكن عملهُ لم يمت ومشروعهُ الادبي لم يحبط بل انتج اكثر ممَّا قصد منهُ اذ لم ينحصر فعلهُ في فرنسا وجيرانها بل عم اوربا جمعاء وانتشر منها الى كل العالم . ففي سنة ١١٠٩ مسيحية أُنشئت مدرسة كمبردج وسنة ١١١٩ مدرسة بولونيا وسنة ١١٤٩ مدرسة اكسفرد وما زالت المدارس تنشأُ واحدة فواحدة حتى بلغت في القرن الرابع عشر نحو ٦٤ مدرسة جامعة في اوربا (اتب جامعة اخذتهُ المدارس سنة ١٢١٥ من البابا انوشنسيوس) منها ١٥ في فرنسا و ١١ في ايطاليا و ١٥ في المانيا و ١٢ في انكلترا والبقية في بقية اقسام اوربا

وكان فن اللاهوت عمدة العلوم المدرسيَّة كما كان اللاهوتيون عمدة الاساتذة في المدارس والعلوم السبعة التي كانت تعتبر يومئذٍ انها دائرة المعارف وهي النحو والبيان والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى كانت توابع لعلم اللاهوت تدور حولهُ كما تدور السيارات حول الشمس وتستمد منهُ نورها وحرارتها امَّا علم الطب والكيمياء فكانا في حيز الخفاء وجل مباحثهما خرافيٌّ عقيم

وفي اواخر القرن الثالث عشر اتسعت دائرة العلوم بادخال مبادئ جديدة الى باحات المدارس . ومن ثمَّ انقسم اساتذة المدارس سنة ١٢٨١ الى ثلاثة اقسام هم اللاهوتيون والاطباء والفقهاء . ولا زالت دوائر البحث تتَّسع وتوسَّع معها دائرة العقل الانساني الى ايام باكون الفيلسوف الانكليزي ومن ثم نشأَت المبادئ الطبيعية ودخلت المدارس في طور جديد هو طورها الحالي الذي نراها فيهِ

وكل ناقدٍ خبير يستطيع ان يدرك لاول وهلة تأْثير المدارس في اعداد اوربا للنهضة الحديثة . فقد انارت العقول والاذهان وشحذتها وثقَّفتها وشحنتها من جوهر الحقائق النفيسة . واحيت الهمم العالية وبثت في صدور البرابرة الالمانيين المبادئ الادبية السامية . فجهَّزت اوربَّا

برجال العقول — رجال العمل — رجال الحزم — رجال الافكار — الذين لهم اليد الطولى في احياء معالم الفضيلة اذ اوروا زناد الفكرة فاضرموا نيران المعارف الجليلة وشمروا عن ساعد الجد وراء الاعمال الخطيرة ومن اهمها الاكتشافات العلمية والاختراعات . كاسلاك البرق وآلات البخار وما يبنى عليها ممَّا لا يسعنا المقام ذكرهُ من الاعمال المفيدة التي توَّجت اوربا بتيجان الفخر والظفر . وكل ذلك او اعظمهُ على الاقل كان من اعمال طلبة المدارس الذين رفعوا اوربَّا برؤوس اقلامهم السيَّالة في اعين جميع الامم وقرنوا ذكرها بالفخر والاجلال في سائر الاقطار والامصار واحلوها المحل السامي في كل الدوائر المدنيَّة . فاضحت اوربا القارة الصغيرة مورداً في كل الكرة الارضية يقصدها الظامئون الى مياه العلوم والآداب

ولا ريب في ان المدارس منار الانسانية وعنوان المدنيَّة جامعة اشتات الاذهان وعماد السيادة والارتقاء . قارنة العلم بالعمل . فاينما حلَّت المدارس حلَّت السعود والمفاخر وايَّان علا منارها تبرَّع وجه الزمان حتى اننا بكل حقٍ نقيس مدنيَّة كل قوم بمدارسهم وعلومهم والحال الحاضرة خير شاهد لصدق ما اقول

الركن الثاني . السيادة والفروسية

السيادة او النظام الاقطاعي المسمَّى عند الاوربيين بالفيودلازم هي نوع خاص من الهيئة الاجتماعية نشأَت في اوربَّا على اثر انحلال عضد الامبراطورية الشارلمانية . على ان ذلك النظام لم يبلغ شأوهُ الاَّ بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر الذي خُتِم بسقوط ذلك النظام سقوطاً قانونيًّا على انهُ استمرَّ في بعض الاقسام الاوربية بعد ذلك طويلاً

وماهية ذلك النظام هي ان الملك كان رئيس البلاد تحت سيادة الباري سبحانهُ . لكنهُ كان ملكاً بالاسم والرسم فقط والملِك الحقيقي او الملوك الحقيقيون في البلاد هم السادة الذين كانوا ملاَّك الاراضي وارباب السلطان المطلق عليها وعلى العاملين فيها . وكانوا يقاطعون خدامهم عليها وكان اولئك الخدَم ارقَّاء لاسيادهم يبيعونهم ويشترونهم مع الاراضي كما تباع الابقار والدواب التابعة لها

وحين يدخل اولئك المقاطعون او بالحري الارقاء الفلاَّحون في خدمة سيدهم كانوا يحلفون يمين الطاعة لهُ كما كان يحلف اسيادهم يمين الطاعة للملك متعهدين بالقيام بخدمة سيدهم كل حياتهم والمحاماة عن حياتهِ واملاكهِ الى آخر نقطة من دمهم . فكان السيد يبني قصرهُ في وسط اراضيهِ فيسكن في الطبقة العليا ويترك السفلى وما يحيط بها لسكن العبيد الذين هم الفلاحون مع الابقار والخيول وبقية الحيوانات الداجنة

وبهذا الاعتبار كان الملك يمثّل الشمس والسادة حوله كالسيّارات والفلاّحون حول اسيادهم كالاقمار حول سياراتها

امّا الفروسية فهي جمعية فرسان غايتها المحاماة عن حقوق الكنيسة والمظلوم والقاصر ومع ان هذه الجمعية نشأت قبل شارلمان فقد كانت مرتبطة بالنظام الاقطاعي حتى قال احد المؤرخين ان الفيود لازم ام الفروسية وقائدتها فقامت بحياتها وماتت بموتها نظرًا لارتباط المقصد بينهما وتبادل المصلحة كما يتبيّن ذلك من نظامها وهو على ما ياتي

كان يعد الولد دنيئًا بموجب شرائع الفروسية الى الحادية عشرة من عمرهِ ومنها الى الحادية والعشرين يحسب شريفًا وفي ذلك السن (الحادية والعشرين) يسوغ لهُ ان يدخل طغمة الفرسان على الاسلوب الآتي : في يوم تعينهُ الطغمة وفي حضرة اعضائها وجمهور غفير يركع طالب الفروسية تحت السيف ويسمع عظة دينية حماسيّة وبعد استماعها يقسم متعهدًا بتكريس نفسهِ للدفاع عن الكنيسة والضعيف وعندها يأخذ السيف ويقبّلهُ ويلبسهُ فيحسب فارسًا . والامر واضح ان الفرسان كانوا ساعد السيادة وعمادها الذي عليهِ ترتكز وبهِ يُشد ازرها . كما كانت السيادة مورد الخصب والسعة للفرسان ومنها يستمدون قوّتهم وامجادهم . والخلاصة ان النظامين كانا مرتبطين معًا . وقد نمت السيادة وبنموها نمت الفروسية واتسع نظامها . وكلاهما انتهى بانتهاء الحملات الصليبية واخليا الميدان للملكية التي كانت تنمو على التوالي وحيث نمت وتقوّت شوكتها كانت تضعف السيادة والفروسية حتى تلاشتا اخيرًا

ومع ان النظام السيادي والفروسية قد زالا باكرًا فلا يسع المنصف ان يتخذ ذلك دليلاً على عدم تعلقهما بالنهضة المدنيّة الحديثة . بل ارى ان نفس زوالهما هو الدليل على علاقتهما بتلك النهضة لانهما بموتهما اعطيا مكانهما وقوتهما لعامل آخر يعمل باسمهما وقوتهما فاحدث النتائج التي تحيا الآن بعدها . وكما ان الجذور لا يُتَّخذ اختفاؤُها دليلاً على عدم علاقتها بالشجرة كذلك نظام السيادة والفروسية لا يحسب انقضاؤُهما دليلاً على عدم علاقتهما بالنشأة الاوربية . لانهُ من المؤكد ان هذه النشأة هي نشأة ادبية مدنية فكل ماساعد على ترقية هاتين النقطتين او احداها فهو من اركان تلك النشأة بلا امتراءٍ . وايّ خبير في تاريخ اوربا يستطيع ان ينكر المساعدة الكبرى التي امدّت بها هاتان الجمعيتان الهيئة الاجتماعية الاوربية . فانهما كانتا حاضنتين للاستقلال الشخصي ومرضعتين روح المروءة والشهامة . فربّتا المؤاساة والايثار . وكل عاقل يستطيع ان يدرك اهميّة الاستقلال الشخصي في النشأة الاوربية . ذلك المبدإ السامي — مبدإ النخوة والحمية — مبدإ الشرف والشهامة — حياة العمل — حياة الاجتماع —

روح الفضل الذي ما سكن قلباً الاَّ قدَّسهُ واعدهُ لحلول اجلى عرائس المدنية والآداب . فكل بلاد ساد فيها روح الاستقلال الشخصي والمروءَة والشهامة لا يقوى عليها مانع يمنعها عن الارتقاء

ولا يخفى على الفطن ان اعتماد الانسان على نفسهِ بعد الله هو اس النجاح الحقيقي وان استعمال القوَّة الشخصية هو حياة المدنيَّة وغذاء تلك الحياة . فقد عاشت الهيئة الادبية في ظل السيادة والفروسية فسلمت بذلك من نوازل الخشونة البربريَّة لان هذا النظام كان حاجزاً حصيناً ضدّها . وحفظت مركزها في الهيئة الاجتماعية واضحت وسيلة لاعلاء شأن اوربا في القرون التالية . واذا كنَّا نحسب رفعة المرأَة اكبر مساعد بل اكبر العوامل في احداث النشأَة الاوربية فالفضل في رفعتها وصيانة حقوقها عائد على نوع ما الى نظام الفروسية الذي كان في القرون المظلمة عمادها الوحيد . وعليهِ فقد كانت الفروسية حلقة متوسطة بين الهمجيَّة والمدنية او البرزخ الذي عليهِ مرَّت قبائل اوربا من طور الهمجية الى طور التهذيب ودماثة الاخلاق

الركن الثالث الحروب الصليبيَّة

هي اشهر الحوادث في التاريخ المتوسط واغرب الاعمال في التاريخ العام . وقد شغلت هذه الحوادث اقلام كثيرين من فلاسفة المؤرخين والكتَّاب في القرون الحديثة . فمدحها البعض وذمَّها آخرون على انهُ ليس من غرض هذه المقالة مدحها ولا ذمّها بل تبيان علاقتها بالنشأَة الاوربيَّة الحديثة

الحروب الصليبيَّة نتيجة عوامل عديدة متنوّعة وهي نقطة اجتماع مجارٍ كثيرة من حوادث التاريخ . منها التعصُّب الديني والبغض العميق المتأصّل بين اهل المشرق واهل المغرب الناشئ عن تنازع البقاء فقد انتشرت الديانة المسيحيَّة في العالم ونشرت معها الادعاء بانها صاحبة السيادة الدينيَّة وقد نجحت في دعواها اذ قلبت التمدن الروماني والديانة الوثنيَّة التي كانت مقترنة بهِ وحلَّت محلهما وصارت ديانة اكثر العالم المعروف حينئذٍ اي جنوبي اوربا وغربيها وشمالي افريقية وغربي اسيَا والشمال الغربي منها . ولكن بعد ظهورها بنحو ستمئة سنة ظهرت الديانة الاسلامية مدعية السيادة الدينية كالمسيحية ومدعية ايضاً مدَّعًى آخر لم تجاهر بهِ المسيحيَّة وهو حق استلام السياسة العامَّة . ومع ان الديانة المسيحيَّة لم يكن قبضها على ازمَّة السياسة من مبادئها الاساسيَّة بل حصلت عليهِ من جملة التوفيقات الملائمة لرفع كلمتها وانتشارها عزَّ عليها ان تتساهل للاسلام بتسليم صولجان الملك . ولما احسَّت انهُ تنازعها السلطة على العالم المتمدن ورأَت رأي العين بريق الاسنّة والنصال تحت راية الاسلام وان بنودهُ واعلامهُ تخفق في بلاد فبلاد حتى حلَّ الجانب الاعظم من العالم المتمدّن اوجست خيفة منهُ وقد زاد الطين بلَّة ان

الدم البربري كان لم يزل حامياً في عروق القبائل الطوطونيَّة ونظام الفرسان زاد شبان اوربا عتوًّا وعنفوانًا حتى اذا طرقت مسامعهم الاخبار المكدّرة عن اخوانهم في الشرق من وطنيين وزوّار ودوت في انحاء اوربا اصوات الاستغاثة بالسنة الرهبان والرؤساء الروحيين هاجت اوربا وماجت وشهرت على الشرق والاسلام حربًا عوانًا غرضها الاول استخلاص الارض المقدسة من ايدي المسلمين فجيّشت الجيوش وشنت الغارات وكرّت على المدن السورية من انطاكية الى اورشليم كرات متوالية الواحدة بعدالاخرى تلقتها جنود المسلمين بالهمة العلياء والغيرةالشماء والتحمت بين الفريقين المعارك الدموية زهاء المئتين من الاعوام . وماذا كانت النتيجة ؟ الانفصال التام بين اوربا واسيا على ان تلك النتيجة انما كانت ظاهرية وقتية اما النتائج الكبرى التي فازت بها اوربا فهي اولاً انتقال آثار الآداب والفنون اليها من المشرق . وذلك يتبين من ملاحظة حالي اوربا مدنيًّا قبل هذه الحملات وبعدها. فاذا راجعنا اسماء الكتّاب الاوربيين في القرون الثلاثة التاسع والعاشر والحادي عشر يندر ان نجد بينهم من يستحق لقب عالم او فيلسوف في الوقت الذي كان العرش العبّاسي في دار السلام (مدينة بغداد) مكتنفاً بحلقات الشعراء والمترجمين ومزدانًا بكواكب الفلاسفة والمؤلفين الذين وجدت العلوم اليونانية ملجأً لها في صدورهم ومغانيهم في زمن فتوّة اوربا وهمجيتها . ولكن بعد الحروب الصليبية زاد عدد المشاهير الذين نبغوا في كل ممالك اوربافقد عاش فن الشعر والتمثيل في فرنسا وبريطانياوالمانيا. ودخلت مدارسها طورًا جديدًا وبزغت في تلك الاقطار انوار المعارف المنبعثة عن قرائح الفلاسفة . ومن المقرّر ان ذلك لم يحصل بالصدفة العمياء لان الصدفة اسم لا مسمى لهُ في تاريخ الاجتماع البشري . ولم يكن ذلك لمجرّد نموٍّ بسيط في المدارس الاوربية الشارلمانية . ولم تكن المدارس الاوربية لتبلغ ما بلغتهُ في القرن السادس عشر لولا اتصالها بعالم المعارف الشرقي واطلاع رجال العلم في اوربا على افكار اسلافهم اليونان من جديد . وقد حملهم ذلك على نقلها الى بلادهم ولغاتهم لان روح الشهامة الذي جرى في نفوسهم مجرى دمائهم في عروقهم ابى ان يسمح لهم ان يرضوا بالخذلان في عالم الفضل الادبي . فترجموا وصحّحوا وقابلوا والّفوا ونقحوا حتى اصلحوا مدارسهم ومعارفهم وابلغوها ارقى الذرى

ومن المعلوم ان الحملات الصليبية لم تقتصر على جرّ الفوارس الى سواحل اسيا بل كانت مصحوبة بكثيرين من الباحثين والمنتقدين الذين كان جل قصدهم وغاية مناهم الوقوف على اسرار الارتقاء في المشرق . وكان همهم في استلاب تيجان الفخر الادبي من اسيا ليس باقل من رغبة اخوانهم المجتهدين في استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين. فكان اذا تماس اوربا

باسيا في تلك الفترة نقطة تمغنط ادبي نقل الى اوربا من اسيا كهربائية الافكار فاهتزت الباب رجالها وجرت في ميدان الحياة الادبية بقوة جديدة

وقد خدمت الحملات الصليبية اوربا من وجه آخر غير ما تقدم وهو انها صدّت عنها غارات الاتراك ريثما تمكّنت من جمع قوتها وتهذيبها ولولا ذلك لنشر لواءهم في فينا وبرلين وباريس ولندن ورومية وكانت حالة تلك المدن الآن اشبه بحالة دمشق وطهران وهرات والقاهرة وتونس قبل الربع الاخير من القرن الماضي وكانت ممالك الرين اشقى حالاً من وادي الفرات والنيجر في هذه الايام. ولكن لما برزت قوّة اوربا التي كانت مستترة عن اعين الفاتحين واندفقت كتائب الفرسان من قلب فرنسا والمانيا الى سواحل اسيا اندفاق السيل العرم ودوت في اسماع مناظريهم في الشرق اصوات الطبول وحمحمة الخيول وقعقعة السيوف وخفقت في سهول الاناضول وسورية الاعلام الصليبية وشاهد المشرق من اوربا ما لم يكن منهُ في حسبان اذ رأى كثيرين من الامراء والملوك قد غادروا القصور والعروش تاركين النعيم ليكونوا قواداً ومجاهدين في تلك الحملات اقشعرّت ابدان ابنائهِ وسكتوا عن الفتح المطلوب واضحى الصلح والتخلص من كرّات اوربا ضالتهم المنشودة والمغنم الذي يجرون وراءهُ . وبعد ما انقضت تلك الحملات بمدة مئتي سنة لمّا عاودت الاتراك النخوة وهمّوا بشن الغارة على اوربا كانت استعداداتها قد تكاملت وكلمتها قد توحّدت واحساساتها قد تمازجت بما احدثتهُ هذه الحملات في اعضائها من التآلف والتواد فاستطاعت ان تصد هجماتهم عن اسوار فينا كما ردّت سابقاً الاعراب عن حدود فرنسا

وكان الحين قد حان لنمو الفرع القوطي في اسبانيا وتقويتهِ فتمكّن من اخراج العرب من الاقطار الاندلسية كافةً وبذلك امنت جبال بيرانيز وسهول بيدامونت شر الغزوات . وتفرّغت افكار ساكني تلك الاقطار للاكتشافات الجغرافية التي جرّت لاوربا اسنى المفاخر . وكانت قد امتلأت افكار الاوربيين من التصورات الحديثة فاتسعت عقولهم وسمت مداركهم حتى صار يشار اليهم بالبنان وقبضوا بيد حديدية على زمام الفضل الادبي في القرن الثالث عشر قرن العلوم والغرائب والفرسان والابطال القرن الذي حبل بالنهضة الاوربية الحديثة

(ستأتي البقية) خادم الانسانية

عروسة النيل

الفصل السابع عشر

لجأ اوريون الى مخدعهِ يلتمس العزلة فيهِ ويبتغي السكينة في خلوتهِ لكنَّ همومهُ لازمتهُ فتنازعتهُ عوامل الاضطراب وتقاذفهُ القلق والجزع وتمثَّل الشقاء لعينيهِ وامتلأ قلبهُ يأساً وكأنَّ لعنة ابيهِ حلَّت عليهِ فلا تتزحزح عنهُ وسدًى وحاول النوم فلم تغمض عيناهُ وكيف تغمض عينا من غادرهُ القدر فريسة للهمّ والغمّ غضب الحبيب ولعنة الوالد وفرط الحزن وارتكاب الاثم .

فاخذ يمشي في غرفتهِ ذهاباً واياباً ثم خلع رداءهُ واستلقى على سريرهِ وهو يتنهد من اعماق فؤادهِ تنهد الحزين التعيس وانار القمر الغرفة فستر عينيهِ لئلاَّ تقعا على ما يكره رؤيتهُ فيزيد عذابهُ واشتدَّ بهِ اليأس فحدثتهُ نفسهُ ان يتناول سيفاً ماضياً ويقتل نفسهُ فيستريح من تعاستهِ ثم انفتح الباب فرأى شبحاً ابيض يدنو منهُ فجمد الدم في عروقهِ لكنهُ لم يلبث ان استعرف القادم فاذا هو ماري ابنة اخيهِ فصاح بها مغتاظاً

— ماذا تطلبين فانتفضت الفتاة وجمدت في مكانها ثم مدَّت ذراعيها كالمستغيث وقالت

— سمعتك تتأوَّه وعلمت اني علة شقائك فلم استطع النوم فاتيت . . . . .

— فعودي الآن الى غرفتكِ ونامي فلن تسمعي صوتي بعد . اما هي فهزت رأسها وقالت وهي تبكي

— لا اعود حتى تغفر لي ثم اسرعت اليهِ وطوقت عنقهُ بذراعيها وقبلت خديهِ وجبينهُ فاحس بشعور غريب وكأَن نفورهُ زال باسرهِ فدمعت عيناهُ وذهل عن حزنهِ وشقائهِ وظلاَّ كذلك بضع دقائق ثم امسك بيدها وقال

— ولكنك محمومة يا ماري والبرد يؤذيكِ . ثمَّ لفها بردائهِ والعبرات تجري على خديهِ وقال سكني روعكِ الآن وعودي الى مخدعكِ اما انا فسأتجلَّد واتمالك نفسي ولست اجهل انك لم تبغي اذيتي فيما فعلتِ ولست بناقم منكِ

— لا استطع النوم يا عمَّاهُ حتى ابوح لك بجميع ما في نفسي . فاعلم اني فعلت ما فعلت لا لقصد الايقاع بك ولكن انقاذاً لباولين وانت ادرى مني بحب جدي لها وبما كان لها من المنزلة الرفيعة في عينيهِ فشق عليَّ ان يموت وهو يحسبها سارقة كاذبة وخيل لي ان السكوت في مثل تلك الساعة جريمة لا تغتفر ويشهد عليَّ مخلصي ان غايتي الوحيدة كانت تبرئتها ولو سكتُّ لمتُّ

— احسنتِ في ما فعلتِ فعمك غريق فلا يخاف من البلل واما باولين فملاك طاهر فقد ظهر حقها واتضحت براءتها ولما كان حبي لها يفوق الوصف فقد صالحتك عن طيبة نفس وساحبك اضعاف حبي قبل فانا في حاجة الى الاحباء والاَّ باتت حياتي عبئًا ثقيلاً عليَّ فقد كلفتني حماقتي خسارة اعزّ الناس اليَّ فافهمي ما قلت وقبليني وعودي فارقدي. فقالت ماري

— اتحب باولين هذا الحبَّ المفرط وكاترينا

— تجاوزي عنهما واستفيدي من امري حكمة فقد ارتكبت في ساعة طيشٍ اثماً واردت اخفاءهُ فارتكبت اثماً آخر وآخر حتى صارت هذه الآثام جبلاً انقلب عليَّ فسحقني وصرت اتعس الناس بعد ان كنت من اسعدهم وتعكر صفاء عيشي وخسرت باولين ولو اقترنت بها يا ماري لكان عمكِ الآن اسعد خلق الله ولكن لا سبيل الى ردّ ما فات فاذهبي الآن ومتى كبرتِ يسهل عليكِ ادراك هذه الامور

— لقد ادركتها تماماً فاذا كنت تحب باولين كما تقول فعلامَ لا تميل اليك وانت جميل محبوب وفي طاقتك ان تقوم باعمال عظيمة فباولين تحبك اذاً . . . . اتغضب اذا قلت

— قولي

— لو درت باولين بما تقاسيهِ من الشقاء وايقنتْ انك طيب السريرة لم ترتكب الاثم سوى مرة واحدة لغفرت لك ذنبك ويلوح لي انا الطفلة الجاهلة ان مثلك مع جدّي مثَل الابن الشاطر المذكور في الانجيل فقد افترقتما على غيظ

— ولكنهُ لعنني

— كلاَّ فانا احفظ جميع ما قالهُ فقد اشار الى فعلتك السيئة وفاه بتلك الكلمات المخيفة وامرك بالانصراف من وجههِ

— وما الفرق بين الملعون والمطرود

— بينهما فرق كبير فقد اصاب في غيظهِ واسفهِ لكنَّ الابن الشاطر صار اعزّ ابني ابيهِ اليهِ فذبح لهُ العجل المسمَّن وغفر لهُ وسيغفر لك جدّي في السماء وتغفر لك باولين فانا اعرف الناس بها وسترى صحة قولي نعم ان كاترينا تحبك ولكنها طفلة مثلي فاذا كلمتها برفق واعطيتها هدية سنية تعزَّت نعم انها تستحق العقاب على شهادة الزور ولكن قصاصها اخفّ من قصاصك على كل حال

فوقعت كلمات تلك الفتاة الطاهرة في قلب عمها وقوع الندى على العشب اليابس فانعشتهُ وردَّت اليهِ بعض الحياة والعزم ولما انفصلت عنهُ اخذ يردّد اقوالها لنفسهِ ويعجب بها

الفصل الثامن عشر

كان تحنيط الجثث وحرقها محظورين على اهل ذلك الزمان بامر الملوك ورجال الدين وكان على اهل الميت ان يسرعوا في دفنهِ الاَّ الشرفاء والاعيان فان جثثهم تطيَّب وتعرض في احدى الكنائس التي بناها الميت او انفق عليها من مالهِ وكان المقوقس قد اوصى بدفن جثتهِ في كنيسة ماري يوحنا في الاسكندرية مدفن ابيهِ لكن حمام الزاجل الذي نقل خبر وفاتهِ الى البطريرك عاد ينقل امرهُ الى المطران بدفن المتوفى في مدفن اسرتهِ في منف لاسباب يصعب معها العمل بوصيتهِ

وبعد وفاتهِ بيومين احتفلت المدينة بدفنهِ وكان موكب الجنازة مهيبًا مشي فيهِ اهل منف ووفود البلاد كأَن على رؤُوسهم الطير وجاء عمرو بن العاص واعوانهُ من الفسطاط فشهدوا الحفلة دلالة على ما كان للفقيد من المنزلة في عيونهم ولما عبروا الجسر ساروا ببطء تحف بهم الهيبة والوقار فاتجهت اليهم الانظار وكان لملامحهم وخوذهم ودروعهم وجيادهم اعظم اثر في الموكب ولما فرغوا من الجنازة استحثوا جيادهم وعادوا من حيث اتوا كأنهم السهام اطلقها الرامي وحجبهم الغبار عن ابصار الجمهور فلم يسمع سوى قرقعة حوافر خيولهم وكلهم امراء في مجدهم ومنعتهم لا تستطيع اعظم الممالك على ردّ غاراتهم

ووقف اوريون الى جانب عمرو فطوقتهما الجماعة ورمقتهما الابصار معجبة بهما هذا بطول قامتهِ وهيبتهِ وسكينتهِ وذاك بجمالهِ وشبابهِ وحسنهِ وكان عمرو محدقًا الى ما امامهُ لا يلتفت يسرة ولا يمنة كأَنهُ طود من الرواسي امَّا اوريون فكان ينظر الى من في الموكب حتى اذا ما وقع نظرهُ على باولين انقشع بعض الهم عن جبينهِ لكنَّ سمات الغيظ لم تمحَ ولم تخفَ علةَّ غيظهِ على عمرو واهل منف بعد ان رأَوا ما رأَوا من عدم اكتراث رجال الدين لوفاة ابيهِ وعميدهم وقلة من شهد الجنازة منهم اذ لم يمشِ امام مركبة الميت سوى المطران وكاهن واحد ونفر من المرنمين

ولمَّا بلغوا المدفن انزلوا الجثة وفاه المطران بتأبين وجيز وعقبهُ المرنمون فجاء ترنيمهم ضعيفًا خافتًا لكنهم لم يكادوا يفرغون حتى ارتفعت اصوات ذلك الحشد الغفير واشتركوا في ترنيم ترنيمة الجنازة حتى دوى السهل باصوات الالوف ولم تسمع مدافن منف في الدهر الغابر رثاء كالذي رثى بهِ المصريون المقوقس ولم يخف على عين عمرو النقادة تقصير رجال الدين فقال بصوت جهوري

— اراهم يطلبون ان يكفرِ الميت عمَّا فعلهُ الحيُّ بالاتفاق معنا حبًّا بمصلحة بلادهِ وخيرها. فاجاب اوريون

— ذلك امر البطريرك ولكن ورحمة ابي ان يوماً يقفل فيهِ بنيامين ابواب السماء في وجه افضل الخلق ليكوننَّ يوم شؤم عليهِ . فقال عمرو

— اما نحن فمفاتيح الجنة في قبضات سيوفنا فجئني يوم السبت فلي كلام معك وتعال نحو غروب الشمس فاذا لم تجدني فانتظرني ريثما اعود ولمَّا قال ذلك وضع يدهُ على عنق جوادهِ فتقدم اوريون يريد اسعافهُ فسبقهُ عمرو وامتطى صهوة الجواد كأَنهُ فتىً ثم اشار الى اتباعهِ بالانصراف

وكانت باولين واقفة مع السيدة نفورس في باب المدفن وهما بحيث تسمعان ما دار بين الرجلين فقرأَت في وجه اوريون ما راعها وكأَن وفاة ابيهِ وما تلاها من الحوادث بدلتهُ تبديلاً فلما فرغوا امسكت بيد نفورس وسارت بها الى المركبة وعادت ومرضعها الى البيت وكانت اثناء الطريق تفكر في جميع ما رأَت وسمعت ولم تفارقها صورة اوريون وقد وقف امام المدفن ورفع ذراعهُ الى السماء واطبق يدهُ واقسم قسمهُ وعلمت انهُ رآها ولم تنسَ ما اورثتها تلك النظرة من خفقان القلب فحارت في امرها ولم تهتدِ الى الخطة التي تجري عليها في المستقبل فكانت تارة تقرُّ على الابتعاد عنهُ وطوراً تحنُّ اليهِ وترثو لحالهِ فترى من الواجب عليها ان تأْخذ بيدهِ وتدلهُ على السبيل الذي يجب عليهِ سلوكهُ وظلَّت كذلك وهي لاهية عن حديث المرضع حتى وصلت الى البيت فشاقتها سكينتهُ وشعرت بالراحة منذ وطأَت عتبتهُ فرأَت ان سعادتها لا تتمُّ فيهِ ما لم تقطع يدها جميع ما يربطها باوريون واهل بيتهِ فعزمت ان تنقطع عن التفكير بهِ وان تطرح عنها ما دار في نفسها من الميل اليهِ او عنهُ

وكان البيت الذي اختارتهُ جامعاً لأسباب الراحة وهناء العيش والسكينة تلك السكينة التي طالما اشتهتها ايام إقامتها في بيت خالها وزادها تعلقاً بهِ قربهُ من دير الراهبات وكون رئيسة الدير صديقة لوالديها عرفتهما في القسطنطينية وحافظت على ولائهما طول حياتها فلما لقيت ابنتهما في منف عنيت بامرها كأَنها ابنتها

وكان اهل البيت آية في اللطف وكرم الاخلاق ففرغوا عليها الرعاية والاكرام وكان روفينس شيخاً وقوراً كلل الشيب هامتهُ لكن ثلج المشيب لم يبلغ صدرهُ ولا بَرَّد عواطفهُ فظلَّ طروباً رقيق المعشر كريم الفؤاد وديعاً كالطفل جريئاً لا يخشى في الحق لومة لائم وهو على ايسارهِ محبٌّ للعمل يكره البطالة وزوجتهُ نحيلة القوام صفراء الوجنتين على وجهها مسحة من جمال شبابها محبة لزوجها قائمة على خدمتهِ تستسهل الصعب في سبيل مرضاتهِ وتنفق قواها في استكمال معدَّات راحتهِ حتى قال الطبيب انها تبحث عن قشةٍ في طريقهِ فترفعها من مكانها لئلاَّ تعوق سيرهُ

ورزقا ابنة وحيدة اسمها هيلانة مليحة الشكل هيفاء القوام بعينين زرقاوين وشعر طويل ذهبي فهذه اذ رأت امها تبذل جهدها في خدمة ابيها وان لا عمل لها في البيت حسبت وجودها فيهِ مما لا فائدة منهُ فعزمت على التخلي عن العالم والترهب في الدير المجاور هذا على شدة حبها لابويها واستعدادها لبذل حياتها في مرضاتهما امَّا ابوها فاعترضها في ذلك بقولهِ ان اجلهُ قريب فلا بدَّ من رفيقة لزوجتهِ تتعهدها بالعناية والحبّ بعد وفاتهِ فلمَّا جاءت باولين الى بيتهم تعلقت بها نفس هيلانة ورأَت فيها مثالاً للكمال والجمال واللطف فصارت تقضي معظم وقتها في عشرتها والباقي في مساعدتها على العناية بالجريحين اي رستم والفتاة ماندانى فان الطبيب ارتأَى نقلهما من بيت المقوقس بعد وفاتهِ لصعوبة تمريضهما فيهِ فخاطب روفينس بشأنهما وفاوضهُ في تقدير الاجرة ونحوها فاجاب الآخر

— اهلاً وسهلاً بهما واذا رغبت باولين في البقاء معنا فلتبقَ على الرحب والسعة على شرط ان تنفصل ساعة تريد ذلك او نريدهُ اذ قد يحدث ان يعسر الاتفاق بين مثلها وامثالنا لتفاوت اقدارنا اما مسأَلة الاجور فتولَّ تعيينها ولا تبخل فاذا صدق ظني فالسيدة باولين تفضل ان تقوم بدفع نفقاتها على ان يمنَّ عليها امثالنا بها وهي على ما تعرف من عزَّة النفس ومتى ادَّى المرءُ نصيبهُ من نفقات البيت احسَّ انهُ واحد من اهلهِ

فسرَّ الطبيب لكلامهِ ونقلهُ الى باولين فارتاحت اليهِ ولم يطل بها المقام حتى تحققت صحة قول الشيخ

الفصل التاسع عشر

وبعد ان تناولت باولين طعام العشاء في مساء يوم الجنازة نهضت تريد البستان فرافقها روفينس وهيلانة اليهِ وكانت الشمس قد اوشكت ان تغيب وهي ترشق اشعتها على الازهار والاوراق فتزيدها رواءً وبهاءً فجلسوا الى جانب ساقية (ناعورة) يديرها ثور وحمار فينصب ماؤها في صهريج ويجري منهُ في جداول متفرقة في انحاء البستان وفاح اريج الازهار فضوَّع الهواء واستولت السكينة فلم يعد يسمع سوى ترنيم الراهبات في الدير فدارت هيلانة الى مصدر الصوت واصغت اليهِ فاشار ابوها الى باولين وقال

— هناك كنزها وقلبها ولعلهُ خير الامور لها ولكنَّ الله لا يشاء ان يتخلى الولد عن والديهِ

— صدقت ولا شيءَ يمنعني عن الترهب سوى املي بلقيا ابي فان نفسي تتوق الى سكينة الدير كما تتوق نفس هيلانة اليها وقد كنت قبل نزولي في بيتكم تعيسة حزينة فلمَّا اتيتكم خفَّ بعض ما بي من الهمّ وساقني هنا ما طلبتهُ هناك واشارت الى بيت الوالي ثم قالت تأَمل ابنتك

فهي في موقفها مثال الطهارة تنبعث منهُ التقوى والفضيلة ولولا خشيتي ان ازعجها لشاركتها في صلواتها قالت هذا وسارت الى طرف البستان الآخر وتبعها روفينس حتى بلغا السياج فانصت شيئاً ثم قال

— اراهم يحاولون ثغر السياج ايضاً فقد فاجأتُ امس احد العبيد متلبساً بالفعل فحالت الاشواك دون قبضي عليهِ وأرى اليوم غيره فانظريني ريثما اذهب فآتي بسوطي

ولما غاب عن بصرها سمعت من يناديها باسمها فالتفتت الى السياج وابصرت وجه فتاة مطلاً بين الاغصان المشتبكة فعرفت ان القادمة كاترينا فقالت هذه

اتأذنين لي في الدخول فلي شيء اقولهُ لك فاومأت باولين بالايجاب فانسلَّت كاترينا اليها واسرعت لتحييها ثم جمدت مكانها وارخت يديها فدنت منها باولين وقبلتها وقالت

— علامَ لا تدخلين من الباب فهوذا روفينس عائد بسوطهِ ثم دارت الى الشيخ وقالت قف فانَّ المعتدي يطلبني ولا يبغيك ولعلَّك تعرف هذه الفتاة فهي جارتك

— اتعرفينني يا فتاة

— نعم فقد رايتك مئة مرة

— ولكنك تجاهلتِني فخرقت سياجي ولم تشائي الدخول من الباب كما يفعل المعارف فسألتها باولين

— افلا تعرفين هيلانة

— طالما وددت مكالمتها ولكنَّ امي . . . . فقال روفينس

— وهل ترى امك فينا عيباً فتحظر عليكِ مكالمتنا

— لاسمح الله ولكن لكل امرءٍ شأن فهي لا تكاد تعرفك اذ يندر ان تراك في الكنيسة . . . . .

— فحسبتْ اننا من الطغاة الفجرة فقولي لها انها اثمت في ظنها فاذا كنتِ من صديقات باولين وتريدين زيارتها فتعالي من الباب لا من السياج وسترين اننا قوم لنا ما يلهينا عن الشر من العطف على العجماوات والبشر ذوي العاهات وخير خدمة يخدم بها المرءُ باريهُ سعيهُ في تخفيف مصايب مخلوقاتهِ فقولي هذا لامك وتعالي ما شئتِ ثم ضحك وانصرف في طريقهِ فقالت كاترينا

— لقد عرفت هذا الشيخ واهل بيتهِ واعلم كيف يقضون اوقاتهم وطالما راقبتهم من برج بيتنا لكن لا تعرفين طبع امي فاذا ابغضت احداً فلا سبيل الى ازالة كرهها وليت هيلانة صديقتي

— اذاً لكانت صداقتها من خير الامور لكِ وقد حان لكِ ان تعاشري من هم اكبر من ماري فقالت كاترينا

— بربك لا تقولي فيها سوءًا فهي متفردة في الاستقامة والفهم على صغر سنها ثم تنهدت وبكت بكاءً مرًّا واجهشت في العويل حتى لم تستطع النطق فامسكتها باولين وسارت بها الى جميزة فاجلستها الى جانبها وطوقتها بذراعها وهي تلطف حزنها بكلامها العذب وظلتا كذلك نحوًا من الزمن نشرت فيهِ الظلمة جناحيها على الارض فرأت باولين ان تعود الى البيت لكنها لم تشأ ان تتخلى عن تلك التعيسة وتوسلت كاترينا اليها ان تبقى معها وتصغي الى كلامها فاضطرت الى البقاء واندفعت كاترينا تحدثها بما جرى لها فاخبرتها عمَّا كان اوريون يبديهِ من الميل اليها وعن تحولهِ عن حبها ثم اسهبت في وصف تعلقها بهِ وشدة غيرتها من باولين تلك الغيرة التي اعمت بصيرتها فشهدت شهادة زور حتى نبهتها ماري الى اثمها ففتحت عينيها ورأت الهاوية فاغرة فاها امامها الى ان قالت ولما مات المقوقس ذهبت امي الى بيتهم فرافقتها وطلبت ماري فقيل لي انها مريضة فخرجت الى القاعة التمس النسيم البارد فسمعت امي تصخب وتصيح ورأيت من الحكمة ان ابتعد عن مكانها فسرت الى الجزء المشرف على النيل وهناك عثرت باوريون وقد لبس السواد والقى رأسهُ بين يديهِ فلم يحسَّ بقدومي وكان على شدة الحرّ يرتجف كمن اخذتهُ البرداءُ فرثيت لحالهِ ودنوت منهُ اعزيهِ فهبَّ واقفًا كمن لسعتهُ افعى فرأيت على وجههِ صفرة الموت وفي ملامحهِ امارات اليأس والجزع الشديدين فارتعت وانعقد لساني ثم انتفض ودنا مني فوضع يديهِ على كتفيَّ وحدَّق بي طويلاً فاذا عيناه حمراوان كالدم وبعد هنيهة تنهد من اعماق فؤادهِ وقال

— لقد اسأتُ اليكِ يا كاترينا فحملتك على الاشتراك معي في جرمي مستعينًا عليكِ بسلامة قلبكِ وحسن نيتكِ على أنَّ حمل الاثم الذي ارتكبناهُ سقط على عاتقي فكان الجزاءُ مئة ضعف الجريمة قال هذا وغطى وجههُ بيديهِ وعاد فجلس مكانهُ ثم وقف وصاح قائلاً اغفري لي اذا استطعتِ ذلك فدنوت منهُ اريد تسكينهُ بعض ما بهِ فدفعني عنهُ بلطفٍ وقال لقد حان لنا ان نفسخ خطبتنا فلست احبكِ كما تستحقين ولكني احبُّ فتاة اخرى حبًّا شديدًا وهي اول مَن احببت وآخر من احبُّ ولقد اتيت امرًا فظيعًا ولكني افضل احتمال غيظك والآلام المبرّحة على المثابرة علي خطبتنا فاخدعكِ واخدع نفسي ثم قبَّل جبيني كانهُ ابي وانصرف الى البستان

وحينئذٍ طلعت امي ووجهها احمر كالدم فامسكت بيدي وجرَّتني الى المركبة وهي تقول يا للوقاحة والخديعة فمن لي بما يخفف وطأة مصيبتك يا وحيدتي فقد ضحوكِ على مذابح مطامعهم فاجبتها لقد علمت يا اماهُ بالامر ولن يصعب عليّ احتمالهُ وفي الغد اتانا نياس خازن بيتهم وفي يدهِ حق من الذهب الابريز المرصع بالفيروز واللآلي كان المقوقس قد اوصى بهِ لي فابت

امي اخذهُ وطلبت اليهِ ان يعيدهُ الى السيدة نفورس وقد سمعتها تقول ان في نيتها مغادرة منف فتقضي بقية عمرها في القسطنطينية او غيرها من مدن الروم وهكذا خسرت صداقة ماري وعشرتها فتصوري تعاستي وشقائي فاذا لم تاخذي بيدي بقيت وحيدة في منف لا صديق لي ولا انيس فلا تتخلي عني

— ساعطف عليكِ فصادقي هيلانة

— حبذا الصداقة صداقتها لو تأْذن فيها امي . ثم اخذت تشكو امرها وما لاقتهُ من امها واوريون وظلَّت الفتاتان كذلك حتى احسَّت باولين بالبرد ورأَت القمر قد تكبد السماءَ فقالت هيَّا بنا فقد كاد الليل ينتصف فهبت كاترينا مذعورة وودعتها قائلة ساعود من حيث اتيت وستؤَنبني امي على خروجي

— لن تذهبي من السياج وسآتي بروفينس فنرافقكِ الى بيتكِ ونطلع امكِ على علة تأَخركِ

— بربكِ لا تفعلي فهي لا تطيقك ولا تطيقهم وقد حظرت عليَّ زيارتك . قالت ذلك وعادت الى السياج فاخترقتهُ

وعادت باولين الى غرفتها وهي تفكر في حديث كاترينا وكلام اوريون فتحن لرؤْيتهِ ثم تنثني فتنفر من ذلك وترى من الذل ان تستند الى اليد التي لطمتها وبينما هي كذلك ران الكرى على اجفانها فنامت ونحو الصبح رأَت اوريون في رؤْيا رأَتهُ يدنو منها راكباً على جواد ادهم كالليل وقد ارتدى ثياب الحداد وبدا النحول والاصفرار في وجههِ فارادت الفرار منهُ فلم تستطع حراكاً وحينئذٍ مدَّ يدهُ وانتشلها ثم اردفها وراءهُ وتقدَّم بجوادهِ يريد النهر فاجتاز الضفة وغاص في الماء فاخذت تتوسل اليهِ ان يعود وهو لا يجيب ثم اخذ الماء يعلوهما فطوقت عنقهُ بذراعيها وللحال تبدلت صفرتهُ بالاحمرار هذا والماء يعلو حتى غمرهما الى اكتافهما وهما ساكتان تخطر لها ان تسأَلهُ عما اذا كانت هي "الفتاة الاخرى" التي اشار اليها في حديثهِ مع كاترينا ولكن الامواج دهمتهما وعصفت الريح وهوى الجواد الى الاعماق وسمعت اوريون يقول "انها انتِ" ثم فصلتهما الامواج فشرعت تغرق ومدَّت يديها تطلبهُ وحينئذٍ افاقت وجبينها يتفصَّد عرقاً فاذا بالمرضع واقفة بجانب سريرها فقالت لها

— ماذا دهاك الليلة فقد سمعتكِ الساعة تدعين اوريون دعوة الخائف ثم عدتِ فدعوتهِ دعوة المحب المشوق

الفصل العشرون

ونحو الظهيرة دخلت باولين وهيلانة غرفتي الجريحين لتغيير الضمادات كالعادة وكانت باولين

ذاهلة عمّا حولها تفكر في حلمها وتحسب لهُ الف حساب وعلمت ان اوريون سيأتي لزيارتها فعزمت عزماً اكيداً على رفض مقابلتهِ وامرت مرضعها بان تنوب عنها ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر اشتدَّ بها القلق فاخذت تطوف في انحاء البيت فسمعت وقع حوافر فاطلَّت من احدى النوافذ لترى من القادم فابصرت فارساً يعدو بجوادهِ فحسبتهُ من اصدقاء روفينس لكنهُ لم يلبث ان ترجل حتى عرفتهُ انهُ كاتب اوريون فاستشاطت غيظاً ظنًّا منها بانهُ ارسلهُ بدالها وعدَّت ذلك اهانة لها ثم جاء روفينس وبيدهِ كتاب فقال لم ياتِ اوريون بل ارسل هذا الكتاب اليكِ والرسول ينتظر الردّ فاخذت الكتاب واسرعت الى غرفتها وفضتهُ فاذا فيهِ ما نصهُ

" من اوريون بن جريج المقوقس الى نسيبتهِ ابنة توما الدمشقي سلام

" كتابي هذا اليكِ حاولت كتابتهُ غير مرة فاخفقت وفيهِ اطلب نعمة واقترح اقتراحاً فاستحلفكِ باسم الرجل الذي احبكِ كابنة وتمناكِ عروساً لابنهِ ان تقرإي ما يكتبهُ اتعس الناس اليكِ فتهبيني النعمة التي اطلبها باسم ابي

" ولستِ اخاطبكِ خطاب محبّ لحبيبتهِ خطاب رجل لا يهوى سوى امرأة واحدة على الارض اذلَّها وخاصمها كما يخاصم الدَّ اعدائهِ فاني ساحبكِ ما دام في صدري عرق ينبض ولست بناسٍ انني خسرت ثقتكِ وحسن ظنكِ بي واعلم يقيناً انني عدمت الفرح والسرور وساعدمها الى الابد الاَّ اذا قيض الله لي بالنجاة فاتمَّ احدى معجزاتهِ في قلبكِ فقد استبدل ابي البركة باللعنة فلعن ابنهُ الذي نجّس مجلس القضاء فاخذ بثاركِ وبدّد شمل الفرح من قلبي"

ولما انتهت باولين الى هذه العبارة امتقعت وادركت مغزى كلام كاترينا وفهمت علَّة تعاستهِ وحزنهِ وعجبت لخالها كيف يلعن ابنهُ على حبهِ وحنوّهِ وعطفهِ وودّت لو تقف على تفصيل الامر ثم عاودت القراءة

" وقد اتيت اليكِ الآن كما انا رجل كسير القلب يمنعهُ صغر سنهِ عن الاستسلام لليأس وتنهض بهِ همتهُ التي ورثها عن اجدادهِ الى طلب المجد تشبهاً بهم فاتوسل اليكِ ان تأذني لي بلقياكِ مرة واحدة فاذا فعلتِ فثقي انني لا افوه بلفظة تشفُّ عمّا في قلبي من الوجد الذي يكاد يقتلني

" اما اموالكِ فمن الواجب اعادتها اليكِ مع ربحها الذي اثمرتهُ بعناية ابي ولا يخفى عليكِ ان العناية بالاموال في هذه الايام محفوفة بالمصاعب لان البلاد في قلق مستمرّ فلا يحسن ان تدفني هذه الاموال كما يفعل بعض القوم كما انهُ لا يحسن إن تبتاعي بها عقارات لأَن مقامك في مصر غير مضمون وقد تحتاجين الى هذه الاموال في ساعة يستحيل الحصول عليها بالسرعة

المطلوبة ولا اشير عليك بوضعها في مصارف الاسكندرية فقد ضاعت الثقة المالية بها وهي تفلس الواحد بعد الآخر ولما كانت هذه الاعمال خارجة عن شؤُون النساء فانا اقترح ان يوكل النظر فيها الى لجنة مؤَلفة من فيلبس وروفينس ونياس خازننا الذي تعرفين امانتهُ وان تجتمع هذه اللجنة غداً في بيت روفينس ولك ان تشهدي الاجتماع بنفسك اذا شئتِ فاذا اتفقنا على خطةٍ فالتمس ان تمني عليَّ بمقابلتكِ بضع دقائق اعيد فيها اليكِ شيئًا لهُ عندكِ قدر عظيم ثم تمنحينني غفرانكِ فاني في حاجة اليهِ فاذا قرأت هذا الكتاب فجودي بلفظة "نعم" ينقلها كاتبي اليَّ فآتيكِ في الساعة الثانية بعد الظهر والاَّ فنياس يحمل اليكِ اليوم مالكِ وليحفظكِ الله ويلهمكِ الرحمة والعفو"

وكانت باولين اثناء قراءتها تنقبض نفسها مرة فتعمد الى تمزيق الرسالة ثم تحجم وتستطرد القراءة فلما فرغت من تلاوتها شرعت تفكر في رقة التعبير واهتمام اوريون بالها فوقفت امام النافذة برهة ثم دعت هيلانة واوصتها بالعناية بالجريحين فلحظت هذه اضطرابها وصفرتها فسأَلتها عن الخبر فقبلتها باولين وتحولت الى غرفتها حيث اعادت قراءة الرسالة فرأَت في تضاعيف سطورها بينات حبهِ الصادق وتوبتهِ الخالصة فتحركت عواطفها ورقَّت لهُ وشعرت كأَنَّ في قلبها دافعاً يدفعها اليهِ ولكنها ابت ان تدعو ذلك الشعور حبًّا فقالت في نفسها هذا تأويل حلمي الليلة فلن يأخذني الفارس معهُ الى النهر فنغرق معاً ولكني سارفعهُ الى قمة المجد وادلُّهُ على اشرف خطة في الحياة فيتبعها ثم عمدت الى صندوقها ففتحتهُ وتناولت ادوات الكتابة وجلست تريد ان تكتب اليهِ لكن عواطفها تغلبت عليها فجمدت قريحتها فنزلت الى الدار حيث كان الكاتب نائمًا فايقظتهُ وكلفتهُ ان يقول لسيدهِ "نعم" ثم خطر ببالها انها لم تطلع روفينس والطبيب على اقتراح اوريون فعادت ادراجها اليهما واخبرتهما فاجابا بالايجاب

الفصل الحادي والعشرون

وفي العشية جلس روفينس واهل بيتهِ وفيلبس وباولين في البستان يتنشقون الهواء الرطب ويقضون السهرة بالاحاديث والنكات وكان البدر يمطر نورهُ على الاشباح فيكسوها حلَّة من الفضَّة والنسيم البليل يهبُّ من الشمال فيزيد الليل بهجة والصدور انشراحًا فاقترح روفينس ان يظلوا ساهرين فيرقبوا خسوف القمر تلك الليلة فارتاح الجميع الى اقتراحهِ واخذ الرجلان يبحثان في الخسوف وكلاهما يأسف على ما تفعلهُ الكنيسة من استرسالها الى متابعة العامَّة في تصديق الخرافات حتى باتت تحسب امثال هذه الظواهر مما يتشاءم بهِ فعمد رجالها الى اتخاذ الحفلات والمواكب ورفع التضرعات الى الله ليدرأ شرها عن البلاد فقال روفينس

— ان تفسير الحوادث الطبيعية التي تحدث طبقاً لنواميس ازلية والتي يمكن تعيين زمان وقوعها بالضبط قبل حلولهِ واتخاذها دليلاً على غضب الله من باب التجديف كأنما عقاب الانسان وثوابهُ مرتبطان بسير الشمس والقمر فقد نمي اليَّ ان المطران والكهنة سيسيرون في طليعة الموكب مرنمين مبتهلين فحملوا الشعب بتعلهم هذا على الايقان بان حادثة طبيعية بسيطة لها معنًى خارج عنها . فقال الطبيب

— واذا ازداد المذنب الذي اكتشفهُ مربيَّ وضوحاً وجلاء وانتشر ذنبهُ في الفضاء فهناك الطامَّة الكبرى والمصيبة العظمى فتهلع قلوبهم وتجزع افئدتهم فقد رأيتهم اليوم كالمجانين فقالت هيلانة

— لكنَّ المذنب نذير الحرب والقحط والجوع والوباء وقالت باولين

— وهذا ما كنت اعتقدهُ فاجاب الطبيب

— وهو خطأٌ وعندنا الف دليل على فسادهِ ومن الاثم حمل العامَّة على الاعتقاد بهذه الخزعبلات ولا يخفى عليكما ان اضطراب الافكار وانخفاض النيل من اعظم الاسباب العاملة في تفشي الاوبئة وسترى ياروفينس صحة قولي يوم نعدّ مرضانا بالمئات فاجاب الشيخ

— انا رهين اشارتك

ودار الحديث على الامراض والاوبئة وشدَّة اعتناء روفينس بذوي العاهات ثم نهض فيلبس فحيَّاهم وانصرف الى احد مرضاهُ وبقي روفينس يحدث بما اتفق لهُ من النكات والطرف والنوادر في اسفارهِ ثم اشار الى ميلهِ الاصلي الى علم الجراحة فاخبر باولين عمَّا انفق من الوقت في الدرس والبحث بينما كان يشتغل في علم البيان الى ان قال وترك لي عمي ثروة طائلة امنت معها جانب الفقر فتخليت عن صناعتي وعمدت الى التطبيب ثم رافقت جنود الروم الى حرب الفرس كجراح فانكسر حقي وقاسيت ما يقاسيهِ الجرحى من الآلام التي لا تطاق فزاد عزمي ثباتاً على تخفيف مصائب اخواني واسعاف ذوي العاهات بمعرفتي واموالي ولما بدا لي قصوري في الصناعة دخلت المدرسة حيث عرفت فيلبس وهو بعد فتى وانا رجل وهناك ابتدأت صداقتنا وهو الذي رغَّبني في سكنى منف . ثم اطنب في مدح الطبيب وابدى شدة اعجابهِ بذكائهِ وهمتهِ وقال انهُ على صغر سنهِ يفوق الشيوخ حكمة وتعقلاً

ولما فرغ من حديثهِ قبضت باولين على يدهِ وقالت لو كنت رجلاً لشاركتك في اعمالك ومع ذلك فقد سمعت فيلبس يقول ان في طاقة المرأة الاهتمام بمثل هذه الاعمال وقد لقيت في بيتكم سعادة لم اكن لاحلم بها منذ شهرين فلتكن زوجتك لي اماً وكن انت لي بمقام ابي فتهلل الشيخ فرحاً وقال

— على الرحب والسعة فانتِ ابنتنا فكوني اختاً لهيلانة وعلميها ان تقتدي بك ثم قال
— ارفعن ابصاركنَّ الى العلاء فقد ابتدأ الخسوف وهوذا "سَتْ" بصورة الدبّ يبتلع عين هورس بحسب زعم المصريين القدماء ألا ترين الظلَّ يحجب سطح القمر فقد كان القدماء عند ابتداء الخسوف يقرعون الطبول وينفخون في الزمور ويضجون ويصرخون لعلَّهم يطردون الخبيث الذي يبتلع القمر وكان آخر ما جرى من هذا القبيل في مصر منذ اربع مئة سنة لكن المسيحيين اليوم يحطون منزلتهم فيتمثلون بعبدة الاصنام ولست اذكر بلاداً نصرانية دخلتها الاَّ رأيتهم يفعلون ما يفعلهُ اصحابنا اليوم نعم ان ديننا نقض اديان الاقدمين لكن خرافاتهم علقت بنا فاندست في حفلاتنا. هلمَّ انظرنَ الموكب فهم يعولون كأَنَّ الدب يبتلع القمر فعلاً او كأَنَّ العالم سينقضي ففي قلوبهم مرض والذين يلبسونهم لباس الخوف هم في ضلال مبين

(ستأْتي البقية)

الصحيح من الفراسة

الكبرياء

ان الاخلاق القديمة المغروسة في طبع الانسان اي التي مارسها اسلافهُ منذ الوف من السنين كالحب والبغض واللذة والالم والتكبُّر والتواضع اظهرُ فيهِ من الاخلاق الحديثة التي تخلَّق بها منذ قرون قليلة كالتديُّن والتشكيك والكرم والبخل ولذلك تُرى ملامح الاخلاق الاولى واضحة في الوجه واما الاخلاق الثانية كالكرم والبخل فلا يظهر لها ملامح خاصَّة بها

والكبرياء من الاخلاق القديمة ومن اكثرها ظهوراً تجدها في الطفل والشيخ والمتمدن والمتوحّش وملامحها واضحة لا تخفى على احد ولا تلتبس بغيرها ولذلك فمن اسهل الامور تقليد المتكبر المتعجرف وتمثيل صورتهِ في الحجر والقرطاس

والقدماء من اهل الفراسة استدلوا على الكبرياء كما استدلوا على غيرها من الاخلاق بشكل الاعضاء كاستعلاء العينين وارتفاع الحاجبين واتساع القدمين وحمرة الوجنتين . لكنهم لم يقتصروا على ذلك بل اعتدُّوا ايضاً بالحركات التي عليها المعوَّل الاكبر في الفراسة الصحيحة لان حركات المتكبر لا تخفى على احد ولا يسهل عليهِ اخفاؤُها . وهي على ثلاثة انواع امارات الكبرياء مع الرضى وامارات الكبرياء مع القهر وامارات الكبرياء مع الرياء وهذه الاخيرة هي الامارات التي دمثتها التربية فلم تعد خشونتها ظاهرة . ومن النوع الاول ما يأْتي

رفع الحاجبين
رفع الرأس
رفع العنق
نصب القامة
النظر الى الاعلى او الى الافق
ابراز الشفة السفلى
اطباق الفم بشدة
بسط الذراعين
رفعهما فوق الرأس
وضع الكفين على الفخذين ومرفقاهما بارزان الى اليمين والى اليسار
مشية الخوزلى او البخترة
تصعيد الانفاس كأَنَّهُ بتعب
التبسم والضحك

هذه امارات الكبرياء مع الرضى اما امارات الكبرياء مع القهر فمنها

خفض الحاجبين
غض الطرف
اطراق الرأس وحنو القامة
اظهار التمرمر كمن يذوق شيئًا مرًّا
الميل الى الاختفاء

ومن امارات النوع الثالث

خفض الراس
ابراق العينين
اظهار الاعتذار او الشكر والتوسُّل
البكاء والضحك دواليْك
زم الشفتين
اضطراب الصوت

ويراد بهذه الحركات تكبير الجسم وتفخيمهُ في النوع الاول منها وتصغيرهُ وتحقيرهُ في النوعين الثاني والثالث . ومن اوضح الادلَّة على معنى الكبرياء وسائر الالفاظ الواردة بمعناها اشتقاق هذه الالفاظ فالكبرياء والكبَر والكِبْر والكبير من اصل واحد والعظَمة والعِظَم والعظيم من اصل واحد . والخيلاء من الخيال والوهم لان صاحبها يوهم غيرهُ . والعُجْب من العَجب او السرور بالنفس . والزهو والتيه والبخترة من حركات الانسان المتكبر المعجب بنفسهِ وهلمَّ جرًّا

وتجد المتكبر يبدي هذه الاشارات ويتكلَّم غالبًا بالفاظ مفخَّمة وصوت عالٍ. ولما كان ترفُّعهُ يستدعي خفض غيرهِ فتراهُ يزدري غيرهُ ويتبسم تبسُّم الازدراء . وهذا التبسُّم واضح تبرز فيهِ الشفة السفلى. ومعلوم ان خُلُقًا راسخًا في النفس وتدعو الحال الى اظهارهِ دوامًا في الوجه والقامة لا بدَّ ان يبقى اثرهُ فيهما ولذلك لا تخفى هيئة المتكبر ولو لم يُظهر امارات الكبرياء بل يقال ان سيماء وجههِ تظهر كبرياءهُ ولو كان نائمًا

الاَّ ان الاخلاق المتصلة بالكبرياء ليست كلها من المعايب بل كثير منها من المحامد كالأَنَفة والشمم والترفُّع عن الدنايا وحب السيادة والقيادة. وهذه المناقب تبدو بنوع خاص في كثير من ابناء العظماء الذين ورثوا السيادة كابرًا عن كابر . وقد تظهر في اناس انسابهم

القريبة وضيعة لكنها من قبيل العود الى الاصل اي ان اجداد اجدادهم كانوا من اهل السودد ثم اخنى عليهم الدهر فافقرهم واذلهم لكنهُ لم يقوَ على نزع جراثيم السيادة من عروقهم فنمت فيهم حالما توفَّرت لها اسباب النماء

ومن اساليب الكبرياء العُجْب وهو افتخار الانسان بجمالهِ او بغناهُ او بحسن بزتهِ او بنحو ذلك من المزايا الطبيعية والعادات المكتسبة وقد مثَّل المصورون العجب بالمرآة كأَنَّ المعجب بنفسهِ يضع مرآة امام عينيهِ ليرى فيها صورتهُ دواماً . ويقترن العجب بالغنج والدلال فتظهر هذه الاوصاف في الحيوان كما تظهر في الانسان

وما برقشة الطيور وهديل الحمام وزقاء الديوك وزمار النعام الاَّ من قبيل الغنج والعُجْب والدلال وقد يقترن العُجب بالقحة وينتفي منهُ الظرف واللطف فيصير عجرفة ووقاحة ودعوى عريضة . قال الاستاذ منتغزا لقد لقيت ملوك اوربا وشيوخ بعض القبائل في اميركا فرأَيت من عجرفة هؤُلاء وانتفاخهم ما لم ارَ لهُ مثيلاً في قصر من قصور الملوك . والتهذيب الصحيح يضعف دلائل الكبرياء ومعاشرة الناس تدعو الى خفض جناحها لان المتكبر يرى كثيرين مثلهُ ينازعونهُ السيادة والدعوى فيضطر ان يخفض لهم جناحهُ لكي يخفضوا لهُ جناحهم وبذلك تدمَّث الاخلاق رويدًا رويدًا. ثم ان المتكبر مكروه مبتعَد عنهُ فامَّا ان يغيّر طباعهُ او يبعَد ويقلى فيضعف نسلهُ او ينقرض ولذلك تجد ان العمران قد هتم انياب التوحُّش وقلَّم اظفار الخشونة ودمَّث اخلاق الجمهور

العيون الصناعية

واستنباط بديع فيها

لم تكن العيون الصناعية عند اول ظهورها متناهي عليهِ الآن من الاتقان بل كانت غليظة الصنع ثقيلة الوزن بعيدة الوانها عن الوان العيون الطبيعية . غير انها ما زالت تتدرج في الاتقان شيئاً فشيئاً وتنتقل رويدًا رويدًا من حسن الى احسن حتى اصبحت على ما هي عليهِ الآن من دقة الصنعة وخفة الوزن وجمال الالوان التي كادت تحاكي الالوان الطبيعية . ولكن مع كل ما وصلت اليهِ من التحسين لا يزال يعتورها شيء من العيوب ولا تزال في حاجة الى الاصلاح . ومن عيوب العيون الصناعية الحالية عيبان كبيران اولهما عدم حركتها متى وضعت في المحجر الخالي من المقلة او ضعف تلك الحركة بالنسبة الى حركة العين الطبيعية السليمة

المجاورة لها مما يشوّه منظر الوجه ويستلفت النظر الذي اعتاد ان يرى العينين الطبيعيتين تتحركان معاً حركةً واحدةً متناسبةً . وثانيهما ما تسببهُ العين الصناعية من الألم والاذى للمحجر الموضوعة فيهِ اذا كان حجمها غير مناسب لذلك المحجر او اذا كان شكل حوافيها التي ترتكز على المتحمة المبطنة للمحجر لا ينطبق على شكل تعرجات تلك المتحمة . وهذا العيب الثاني قد يكون احياناً كثيرةً سبباً للعيب الاول اي ان العين الصناعية اذا كان حجمها وشكلها غير مناسبين للمحجر الموضوعة فيهِ حجماً وشكلاً فضلاً عن انها تهيج ذلك المحجر وتؤلمهُ فهي لا تتبع فيهِ حركة العين الطبيعية المجاورة لها كما سنوضح ذلك فيما يلي

العيب الاول : عدم حركة العين الصناعية او ضعف تلك الحركة بالنسبة الى حركة العين الطبيعية المجاورة

لهذا العيب سببان إما عدم صلاحية العين الصناعية للمحجر الموضوعة فيهِ كما ذكرنا وهو سبب مشترك بين هذا العيب والعيب الثاني الذي سنتكلم عليهِ وإما زوال الحركة من الاجزاء الرخوة المبطنة للمحجر بعد استئصال العين . وقد استدرك الجراحون ولا سيما الرمديون منهم هذا السبب منذ استنباط العيون الصناعية وهو عهد غير بعيد وصاروا يقللون ما امكن من استئصال العين ويعوضون عنهُ ببتر جزئها الامامي وابقاء جزئها الخلفي حتى ترتكز عليهِ العضلات وتحركهُ وتحرك العين الصناعية التي توضع عليهِ . وكادت عملية استئصال العين تتلاشى في ايامنا هذه لولا وجود بعض الامراض التي لا يرجى شفاؤُها الاَّ بهذه العملية ومن هذه الامراض التهاب العين الفلغموني والاغليكوم المزمن المؤلم والنزفي والاورام الخبيثة الى غير ذلك مما لا حاجة الى الكلام عنهُ هنا . ولم يكتفِ رمديو اليوم بتجنب عملية الاستئصال في غير الامراض الخبيثة التي ذكرنا بعضها بل انهم نوّعوا طريقة الاستئصال متى دعت الحاجة اليهِ . وذلك انهم عوضاً عن استئصال المقلة وجزء كبير من المتحمة والعضلات المجاورة لها كما كان يفعل الجراحون قبلاً صاروا لا يستئصلون سوى المقلة مجردةً ويحافظون على كل العضلات والاجزاء الرخوة المحيطة بها لكي يتكوّن من هذه الاجزاء بعد التحامها كتلة متحركة ترتكز العين الصناعية عليها وتحرك معها . فيجب على كل رمدي وجراح اتباع هذه الطريقة في استئصال العين اذا دعتهُ الضرورة اليهِ ما خلا اورام العين الخبيثة الممتدة التي تستلزم حتماً استئصال هذا العضو وكل ما يجاورهُ ويحيط بهِ من العضلات والاجزاء الرخوة مما لا سبيل بعدهُ الى استعمال العين الصناعية إلاَّ بكل صعوبة

العيب الثاني : ما ينتج من الألم والاذى عن استعمال العين الصناعية للمحجر الموضوعة فيهِ

وللعين الطبيعية السليمة المجاورة

هذا هو العيب الاكبر الذي بنينا عليهِ مقالتنا ونريد أستلفات النظر اليهِ بنوع خصوصي. وهو العقدة التي لم يهتدَ الى حلها الاَّ منذ شهور قليلة. ولا يزال الاصلاح الناتج عن هذه العقدة في مهد ظهورهِ ولم ينتشر بعد خبرهُ لان مكتشف هذا الاصلاح وهو الدكتور دوميك (Domek) الرمدي لم ينشر بعد في الجرائد الطبية الاَّ بعض التلميح عن هذا الاستنباط ولكنهُ سيوفيهِ حقهُ من الشرح في المجتمع الرمدي المنعقد الآن في باريس. غير ان هذا الاستنباط رغماً عن حداثة عهدهِ قد افاد كثيرين من مستعملي العيون الصناعية الذين علموا بهِ واستشاروا مبدعهُ. اما العامل المجتهد الذي اصلح العين الصناعية طبقاً لاستنباط الدكتور دوميك فلا يزال مفرداً وهو صانع عيون زجاجية في باريس يدعى المسيو جيرون (Giron)

﴿ استنباط الدكتور دوميك ﴾: لا يخفى ان كثيرين من مستعملي العيون الصناعية يشكون دواماً الماً يلازمهم ما زالت العين الصناعية في المحجر ولا يجدون بعض الراحة الاَّ متى نزعوا تلك العين ليلاً للرقاد. وهذا الالم ناتج عن احتكاك حافات العين الصناعية بالمتحمة وما تحتها من الاجزاء الرخوة الضامرة الباقية من العين المفقودة وسبب هذا الاحتكاك الذي يهيج المتحمة ويلهبها ويؤلمها ويؤذي احياناً العين السليمة المجاورة هو عدم التناسب بين شكل العين الصناعية والمحجر الموضوعة فيهِ. ومعلوم ان العادة المتبعة حتى الآن في انتقاء العين الصناعية هي ان مستعمل العين الصناعية اذا اراد شراء عين يذهب الى احد بائعي العيون فينتقي لهُ هذا عيناً تقارب عينهُ الطبيعية حجماً وشكلاً ولوناً ما امكن ويضع لهُ تلك العين في محجرهِ ويقول لهُ اذهب بسلام. هذه هي الطريقة المستعملة في ايامنا حتى في باريس نفسها حيث يوجد الدكتور دوميك والعامل جيرون وذلك لأن العارفين باستنباط دوميك قليلون والقادمين على استشارة هذا الرمدي اقلُّ وقلَّ من مستعملي العيون الصناعية من لا يشكو الألم من استعمال العين التي ينتقيها لهُ البائعون. وذلك لان اشكال طيَّات المتحمة التي ترتكز عليها العين الصناعية تختلف باختلاف المحاجر والاشخاص ولا يخفى ان حافات العيون الصناعية التي ترتكز على المتحمة مستقيمة الشكل كلها على حدٍ سوى بحيث ان العين الصناعية متى وضعت في المحجر لا تجد المتحمة من حافاتها زوائد تملا ما فيها من الانخفاضات والنخفاضات تملا ها ما فيها من المرتفعات ولذلك قلما تثبت العين الصناعية في المحجر وبسبب ضغط حافاتها على المرتفعات من طيات المتحمة تلتهب هذه وتؤلم صاحبها. ولهذا السبب نفسهِ لا تتبع العين الصناعية حركة المتحمة المرتكزة عليها وهو العيب الاول الذي ذكرناهُ

وليت عدم التناسب بين العين الصناعية والملتحمة التي ترتكز عليها يقتصر على احداث ذينك العيبين وهما عدم الحركة والألم ولكنهُ بسبب الالتهاب الذي يحدثهُ في المحجر قد تتأثر العين السليمة بالمجاورة وربما افضى ذلك الى التهابها وفقدها وهناك الطامَّة الكبرى والبلية العظمى اذ ليس العمى بالامر السهل كما لا يخفى على كل ذي بصيرة. ولطالما سمع الرمديون شكوى مستعملي العيون الصناعية ولم يهتدِ رمدي منهم الى ايجاد طريقة تخفف الالم وتمنع الاذى عن اولئك المنكودي الحظ حتى قدّرَ للدكتور دوميك الرمدي أن يستنبط التحسين الذي نحن بصددهِ وذلك ان هذا الرمدي لما تحقَّق ان علة التهاب الملتحمة والاضرار الناتجة عنهُ هي عدم التناسب بين العين الصناعية والمحجر الموضوعة فيهِ رأى ان يصنع لكل محجر قالبًا تُصنع العين الزجاجية على قدهِ وشكلهِ كما تُصنع قوالب الفم واللثة لعمل الاسنان الصناعية . وقد استعمل مواد كثيرة لصنع قوالب المحجر كالكاوتشوك والشمع وغيرهما فلم يفلح غير ان ذلك لم يثن من عزمهِ فما زال يتبع التجربة بالاخرى حتى اهتدى الى مادةٍ تفي بالغرض المقصود وتلك المادة هي البارافين Parafine

معلوم ان البارافين يكون جامدًا في الحرارة الجوية ولكنهُ يسيل اذا أُحمي او وضع في ماء غالٍ ويبقى لخفتهِ عائمًا على سطح الماء واذا ترك على هذه الحالة حتى يبرد ينتقل من السيولة الى الجمودة تدريجًا لان الماء الغالي يبرد ببطء كما لا يخفى بحيث انهُ يمكن استعمال البارافين وهو بين بين اي في حالة الليونة . فمتى برد الماء الغالي حتى يصبح البارافين الذي على سطحهِ بحالة الليونة تؤْخذ كتلة صغيرة منهُ وتوضع في المحجر وبعد اطباق الجفنين عليها تضغط بالاصابع ضغطًا خفيفًا حتى تتخذ شكل المحجر وتعاريج الملتحمة من ارتفاعات وانخفاضات ثم تترك في المحجر بضع دقائق حتى تجمد لان حرارة الجسم غير كافية لابقائها في حالة الليونة . وعند ما تجمد يمكن اخراجها من المحجر بسهولة فتصير اذ ذاك القالب الذي تصنع العين الزجاجية على شكلهِ وقدهِ

فبعد ان يصنع الدكتور دوميك قالب المحجر على هذه الكيفية يبعث بهِ الى المسيو جيرون وهذا يصنع العين الزجاجية على شكلهِ تمامًا ويلونها بالوان تشبه الوان العين الطبيعية تمامًا بعد مشاهدة المريض الذي لاجلهِ تصنع العين . فبهذه الطريقة ترتكز العين الصناعية ارتكازًا محكمًا على ملتحمة المحجر الذي صنعت لاجلهِ بحيث تبيت تحدبات حوافيها في منخفضات الملتحمة المقابلة لها وتبيت تحدبات الملتحمة في منخفضاتها . وهكذا يزول الاحتكاك المؤْلم والالتهاب الذي ينتج عنهُ في الملتحمة وتتبع العين الصناعية حركة تلك الملتحمة وبالتالي حركة العين السليمة بحيث انهُ اذا كان لون العين الصناعية يشبه لون العين الطبيعية تمامًا كما يصنعهُ المسيو جيرون

يتعذر احياناً حتى على الرمدي نفسهِ التمييز بين العين الصناعية والعين الطبيعية لاول وهلة

وقد اسعدني الحظ وعرفت صانع العيون المسيو جيرون بواسطة استاذي الدكتور ابادي ولما زرت محل هذا العامل النشيط مع بعض نزلاء باريس من المنقطعين لدرس امراض العين وجدنا هناك خلقاً كثيراً من مستعملي العيون الصناعية وقد ارانا المسيو جيرون طريقة صنع القوالب التي اخذها عن الدكتور دوميك وسمح لكلٍّ منا عمل بعض قوالب لمحاجر المرضى الذين كانوا عندهُ حتى اذا عاد كلٌّ منا الى بلادهِ يمكنهُ عمل قوالب متقنة للمحتاجين الى عيون صناعية متقنة وارسالها الى محل جيرون في باريس لتصنع العيون على قدها وشكلها وتلون بلون يشبه لون العين السليمة اذ يلزم ان ترسل مع كل قالب عين زجاجية يشبه لونها لون العين السليمة ويكون قاعدةً لتلوين العين المطلوبة

وقد ارانا المسيو جيرون عدة عيون زجاجية صنعت على هذه الطريقة الحديثة ووضع امامنا عيوناً لبعض الناس صنعها لهم طبقاً لقوالب محاجرهم والوان عيونهم الطبيعية فالفيت تلك العيون الزجاجية تحاكي العيون الطبيعية لوناً وحجماً وحركةً فاثنينا على ذلك الصانع النشيط وشكرنا لهُ ثم انصرفنا ونحن نقول ما اقدر الانسان باريس الدكتور

شدودي

معرض شقاء

يا صاح ما هذا الذي انا راءِ — أُدنُ اَقترِبْ مني وقفْ بازائي
عيني ترى شيئاً من الاشياء — أَخفاهُ عني حاجبُ الظلماءِ
حدِّقْ اليهِ معي وقل لي يا تُرى — ماذا فاني بتُّ فيهِ محيَّرا
شيءٌ هنا ملقى على وجهِ الثرى — ومن الظلام مدثَّرٌ بغطاء
ما لي أَراكَ مشرَّداً ومروَّعاً — والرشدُ خانك عهدَ ودِّك ما رعى
أَمن الجمادِ تظنُّ ذا متفرعاً — ام أَصلهُ حيٌّ من الاحياء
أُنظر معي أَفليس ذلك معبداً — للدين مبنيًّا هنا ومشيدا
ذا بابهُ وامامهُ هذا غدا — ملقًى فما هو سرُّ ذا الإلقاء

الليل داجٍ والدجنَّة تُطبقُ — والجو يقصف بالرعود ويبرقُ

والارض من وقع الصواعق تقلقُ مهتزَّةً من مطلقِ الارجاء
والريحُ باردةً تهبُّ وتعصفُ والزمهريرَ على الجوانح تقذفُ
ولقرسها الانسانُ اذ يستهدف يهتزُّ منتفضاً كذي بُرَداء
والودْق سحٌّ من السما يتدفقُ حتى تكاد الارض فيهِ تغرقُ
لو أنهُ لمكاننا يتطرق لطغى واغرقنا مسيل الماء
لكنَّ موقفنا رصيفٌ مرتفعْ نوقى بهِ خطر السيول المندفعْ
وبطننهِ الامطار عنَّا تمتنع من فوقُ بل من سائر الانحاء

انصتْ فما هذا الذي انا أسمعُ صوت كصوتِ الطفل اذ يتوجعُ
ان كان طفلاً فهو نزعاً ينزعُ بردًا وجوعاً او من الاعياء
أسرعْ اليهِ معي تقدمْ بالعَجل من قبل ان ينتاشهُ منَّا الاجلْ
ودع السؤال الآن عنهُ لا تسَلْ أنُضيع فرصتنا بالاستقصاء
أمْددْ يديكَ كذي عمًى متلمسا متنسمًا متوسمًا متوجسا
وانشط اليهِ عساك تدركهُ عسى قبلي فتنقذهُ من البأساء
هوذا يدي لمستهُ قبلك فاقترب واسمعهُ يا اسفي عليهِ ينتحب
وانظرهُ منتفضاً يقف ويضطرب افلا نجود عليهِ بالإدفاء
خذهُ لاخلعَ جبَّتي والفَّهُ فيها فيوقى قرس بردٍ شفَّهُ
حتى اذا ما الدفءُ حالاً حفَّهُ أمنَ الردى متمتعاً ببقاء
واستر محياهُ بمنديل على عجلٍ فلا ينتابهُ مطرٌ ولا
حسناً فعلتَ فبي انطلق مستعجلاً حالاً بلا ريث ولا ابطاء
هيَّا تقدَّمْني وسر بي مُدلجا واختطَّ لي تحت الدجنةِ منهجا
وبذاك آمنُ مرطمًا اومزلجا والطفل يسلم من اقلّ إذاء
دُر عن شمالكِ واتخذ ذا الشارعا لك مسلكاً وامامي اعَدُ مسارعا
وبباب هذا البيتِ قف بي قارعا فيهبَّ مَن فيهِ من الاغفاء

فتحت لنا امرأةٌ بقلبٍ مضطربْ اكل الوجى اكلاً عليهِ وقد شرب
خاطبتُها في ما لديَّ فلم تجب للخوف واقتصرت على الايماء

قد راعها والليلُ اسحمُ حالكُ	والخوفُ فيهِ كل قلبٍ مالكُ
قرْعٌ شديدٌ صادع متداركُ	وطروق سار في الظلام فجائي
لكنها لمَّا رأَتني مَن انا	ودرت لماذا الآن جئت الى هنا
عذرت وقالت طبْ فقل نلتَ المنى	فانا لهذا الداء خير دواء
مدَّت ذراعيها ومني سُلّمت	طفلاً اليهِ خُطى المنون تقدَّمت
كشفت محياهُ وفيهِ توسمت	ما قطُّ لم تنظرهُ مقلةُ راء
حُسنٌ تقول غزالة ذا ام قمر	وطهارة فتقول ما هـذا بشر
وملامح دلت على اعلى الخطر	ومخايلٌ لنباهةٍ وذكاء
عطفت عليـهِ فقبلتْهُ اربعا	وبكت فابكتني جوًى وتوجُّعَا
ثم انصرفتُ الى مبيتي مسرعا	وجرى الرفيق معي يسير ورائي

لا يطمع القرَّاءُ اني باسم من	اودعتها ذا الطفل اجهر بالعلَن
والطفل ايضاً والمكان مع الزمن	مكتومة عن معشر القراء
واهمُّ من هذا واجدر بالخبر	ان يدركوا عمَّا جرى بعض الاثر
هل مات ذا المسكين مثل المنتظر	ام زارهُ طيف الحياة النائي
ما مات بل خلعت عليهِ يدُ القضا	عمرًا ولو كان المخيَّرَ ما ارتضى
بل ودَّ لو أَنَّ الفناءَ تعرَّضا	لوجودهِ وكساهُ ثوبَ فناء
والمرءُ هذا ليس في امكانهِ	ابدًا ولا المقدور طوع بنانهِ
فليثنِ عنهُ اذًا عنانَ لسانهِ	خوفَ الغواية او من الاغواء
مرَّت على الطفل السنون وقد نما	مترعرعًا متدرجًا متقدما
جاز الصبا وعلى الشبيبة سلَّما	متوقعًا فيهـا اتمَّ هناء
ربَّتهُ تلك المراةُ الفضلى على	سنن الفضيلة منَّةً وتفضلا
وامامهُ قد سهَّلت سبل العلى	حتى يحلّقَ في ذرى العلياء
لمـا رأَتهُ مستعدًّا للعمل	تحييهِ انفاس الشبيبة والأَمل
قالت لهُ سِرْ شاعك التوفيق وال	اسعاد في الأَصباح والأَمساء

من بعد اعوام مضيت مع السحر	وحدي لاقضيَ ما على بالي خطر

فاخذتُ أُطلِقُ خارج البلدِ النظر ... في كل ما حولي من الاشياء
واذا بقرب النهر اذني تسمعُ ... شكوى فتى متظلمًا يتوجعُ
فوقفت حيث سمعتُ ما يتصدَّعُ ... منهُ فوادُ الصخرة الصماء
يبكي وينحب قائلاً متذمرًا ... من ذا يخبّرني بذنبي يا تُرى
اني نُبذتُ ولم اجد بين الورى ... احدًا اوى لي راثيًا لبلائي
بل كلهم طرًّا عليَّ تألبوا ... وتنكَّبوا قربي معًا وتجنبوا
حتى كأنّي عقرب او اجربُ ... او فيَّ داءُ اخبثُ الادواءِ
حيث التفتُّ ارى وجوهًا باسرَه ... عني تشيحُ وبي افتئاتًا ساخره
وارى عيون الكل نحوي ناظره ... ابدًا بملء الهزء والازراء
شنُّوا عليَّ غارة التحقير ما ... رقُّوا لدمع سال من عيني دما
حتى غدا بيَ الازدراءُ محكَّمًا ... وعلى المدى مستعرضًا تلقائي
فاذا مشيتُ رأيتهُ يمشي معي ... واذا اضطجعت رأيتهُ في مضجعي
هو ملءُ عيني كيف كنتُ ومسمعي ... وهو المسبب نغصتيْ وشقائي
لم اجنِ ذنبًا والبرية تشهدُ ... فعلى مَ أُنبذُ كالاثيم واطرَدُ
هل إنَّ ذنبي أنَّني متفردُ ... بين الورى بمناقبي الغرّاء

ثم انبرى يبكي ويشكو نحسهُ ... وعصى تجلُّدهُ وطاوع يأسهُ
ودنا الى الشاطي ليلقيَ نفسهُ ... منهُ ويخلص من بني حواء
فسقطت منقضًا عليهِ وحطتهُ ... وعن ارتكاب الانتحار ثبطتهُ
وبكل ما ادريهِ عنهُ احطتهُ ... علمًا بلا كتمٍ ولا إخفاء
حتى فرغتُ فقال لي ظهر السبب ... ولذاك لا يبقى محلٌّ للعجب
فاذًا انا . إبنٌ لقيطٌ لانسب ... لي مثلما لبقيَّة الابناء
لا أمَّ لي تُدرى ولا ابَ يُعرَف ... ولذا القَّبُ باللقيط وأُوصفُ
افبعد .هذا في البريةِ منصفُ ... كلا وربِّ القبةِ الزرقاء
ماذا دعاك الى التقاطي يا ترى ... اذ كنتُ مطروحًا على وجه الثرى
لو متُّ حينئذٍ لكنتُ بلا مرا ... في راحةٍ من هذه البرحاء
والآن عن تغريق نفسي عقتني ... والى النجاة من المهالكِ سقتني

فسقيتني غصص الاسى واذقتني في المرتين مرارة الكآباء

يا أَرضُ لي اَستمعي وانتِ أياسما أَصغي فاصرخَ شاكيًا متظلما
اشكو وما شكوايَ من طير السما او من وحوش الغاب والصحراء
شكوايَ من جور ابن آدم وحده فالظلمُ بات اعزَّ شيءٍ عنده
ولقد تجاوز في التحامل حدَّهُ فالكلُّ فرعون بلا استثناء
وابي وامي شرُّ مخلوق سلك طرق الغواية مطلقًا تحت الفلك
فكلاهما والليل مشتدُّ الغسق بي طوَّحا وتعمَّدا ايذائي
كم مشبهٍ لهما بهذا الفعل بل كم من لقيط قبلما لُقطَ ارتحل
ولئن يَعِشْ فحياتهُ موت فهل بين الورى اشقى من اللقطاء

القاهرة اسعد داغر

اسباب الوراثة

من الاوصاف ما يرثهُ الفرد من والديهِ ويورثهُ لاولادهِ دوامًا ككل مميزات الجنس مثل السلسلة الفقرية واليدين والرجلين والشعر في ذوات الاربع ومثل السلسلة الفقرية والجناحين والرجلين والريش في الطيور . وككل مميزات النوع مثل انتصاب القامة وسائر الاوصاف التي يمتاز بها نوع الانسان عن غيرهِ من انواع الحيوان . ويقارب ذلك مميزات الشعوب كمميزات الزنوج والهنود والصينيين واليهود والعرب

ويوجد عدا هذه الاوصاف التي يرثها الفرد من والديهِ دوامًا ويورثها لاولادهِ اوصاف اخرى قد يرثها من والديهِ وقد لا يرثها وقد يورثها لاولادهِ وقد لا يورثها ككل المزايا التي تمتاز بها العائلة الواحدة عن العائلة الاخرى مثل طول العمر وطول القامة والميل الى السمَن او النحافة والميل الى الصلَع وككثير من الاوصاف العقلية

ثم انهُ يوجد نوع ثالث من الاوصاف التي لا يرثها المرءُ من والديهِ ولكنهُ يكتسبها اكتسابًا في حياتهِ بواسطة التربية او التعليم او التمرُّن او الاقليم . فهذه اختلف العلماءُ في هل يمكن ان تنتقل بالوراثة او لا . وبعد جدال طويل قرَّ القرار على ان العوارض التي تعرض فجأَةً لا تنتقل بالوراثة فاذا قُطعت يد انسان لا يولد اولادهُ مقطوعي الايدي واما الصفات التي تسببها

الاحوال الخارجية بفعل تدريجي فقد تنتقل بالوراثة. حتى قال بعضهم ان ارتقاء الشعوب يتوقف على سن الزواج فالذين يكثر فيهم التزوُّج باكرًا قبلما تبلغ اجسامهم وعقولهم مبلغهامن النمو والارتقاء لا يرتقون مثل الذين لا يتزوجون الاَّ بعد ان تبلغ اجسامهم وعقولهم حدها من الارتقاء فان اولاد هؤُلاء يولدون وقد ورثوا التقدُّم العقلي والادبي الذي اكتسبهُ اباؤُهم واما اولاد اولئك فيستحيل عليهم ان يرثوا ما اكتسبهُ آباؤُهم بعد ولادتهم من النمو الجسدي والعقلي ولذلك اشار غير واحد من الباحثين بان يؤَخر الزواج الى ان يبلغ الرجال والنساءُ تمام نموهم الجسدي والعقلي فيرث اولادهم ذلك منهم ويسرع ارتقاءُ الامة كلها والاَّ مالت الى الانحطاط

وقد ذكرنا غير مرة ما وجدهُ الشهير غلتون من مقدار ما يرثهُ الفرد من والديهِ واسلافهِ وهو انهُ يرث النصف من والديهِ والربع من اجدادهِ والثمن من آبائهم ونصف الثمن من اجدادهم والباقي وهو نصف الثمن من كل اسلافهم فوق اجدادهم

فالمورث الاول الاب والام . والثاني الجدَّان والجدتان اي ابو الاب وامهُ وابو الام وامها . والمورث الثالث آباءُ الجدين والجدتين وامهات الجدين والجدتين وهلمَّ جرًّا. فيرث المرءُ نصف اوصافهِ الطبيعيَّة من والديهِ والنصف الآخر من بقية اسلافهِ . فاذا زاد طول والديهِ عن متوسط طول اسلافهِ عشرة سنتمترات فلا ينتظر ان يرث كل هذه الزيادة منهما بل نصفها فيكون اقصر منهما خمسة سنتمترات واطول من متوسط اسلافهِ خمسة سنتمترات واذا نقص طول والديهِ عن متوسط طول اسلافهِ عشرة سنتيمترات فلا ينتظر ان يرث كل قصرهما بل نصفهُ فيكون اطول منهما خمسة سنتيمترات وقس على ذلك الاوصاف العقلية والادبيَّة. فاذا فاق والداهُ اسلافهما علمًا وفضلاً اوجهلاً ونقصاً فلا ينتظر ان يكون مثلهما. وهذا الحكم اجمالي كما لا يخفى لا يتمشَّى على كل احد بل قد يكون لهُ شذوذ كثيرة فقد يولد المرءُ من والدين فاقا اسلافهما طولاً ثم يزيد طولهُ على طولها وقد يولد من والدين فاقا اسلافهما عقلاً ثم يزيد عقلهُ على عقلهما لكن هذا قليل والحكم الاول هو الغالب ولولا ذلك لزاد العقلاءُ عقلاً والجهلاءُ جهلاً والفضلاءُ فضلاً والاشرار شرًّا وانقسم البشر انواعاًمتباينة. لكن ناموس الوراثة يعدّل ذلك ويمنع ازدياد الفرق بين طوائف الناس

وقد استقصى العلاَّمة غلتون تاريخ مئة من المشاهير بحث عن اسلافهم واولادهم فوجد الشهرة تقل في آبائهم واولادهم على نسبة واحدة تقريبًا فانهُ اشتهر ٣١ من آبائهم و ١٧ من اجدادهم و ٣ من آباءِ اجدادهم . واشتهر ٤٨ من اولادهم و ١٤ من احفادهم و ٣ من اولاد احفادهم

وقد طال بحث العلماء عن كيفية انتقال الصفات من الوالدين الى نسلهما وعن الحامل لها. فالحيوانات والنباتات الدنيا التي تتوالد وتتكاثر بالانقسام يكون كل جزء منها حاوياً صفات الاصل كلهِ كما ان القطعة من الرخام حاوية صفات الحجر الكبير الذي قطعت منهُ . والنباتات العليا التي تزهر وتثمر وتتكاثر ببزرها قد تتكاثر بالانقسام ايضاً فاذا قطعت قضيباً من الورد وزرعتهُ نبتت منهُ جذور واغصان واوراق وازهار مثل الاصل الذي قُطع منهُ كأَنَّ فيهِ دقائق مستعدَّة لتصير جذوراً ودقائق مستعدة لتصير اغصاناً او اوراقاً او ازهاراً . ومن النباتات والحيوانات الدنيا انواع تسبح في الماء يمتزج الذكر والانثى منها معاً ويصيران فرداً واحداً ثم يكبر وينقسم اقساماً كثيرةً وهذه هي طريقة تكاثرها . واما الحيوانات العليا فلا تتكاثر بالانقسام بل بالتولد من جسمين صغيرين احدهما من الاب والآخر من الام يجتمعان معاً ويتولد منهما الحيوان الجديد . وفي كل جسم من هذين الجسمين الصغيرين دقائق كثيرة بعضها للتغذية وبعضها للانتقال وبعضها لغير ذلك من الافعال اللازمة للحياة والنمو . وقد اختلف العلماء في ما هو الداعي الذي دعا الى تولُّد الفرد الواحد من اثنين من اب وام في اكثر انواع الحيوان وبعض انواع النبات وظهر لهم الآن ان الجرثومة الآتية من الانثى قد تنمو وحدها في بعض الاحوال من غير ان تمتزج بالجرثومة الآتية من الذكر والجرثومة الآتية من الذكر قد تنمو وحدها في بعض الاحوال من غير ان تمتزج بها الجرثومة الآتية من الانثى وثبت الامران بالامتحان اي ثبت تولُّد الحيوان من غير تلقيح

ويتضح من ذلك ان الجرثومة الذكر وجرثومة الانثى اي للنطفة والبيضة مشاركة في تكوين المولود الجديد وانهُ يرث من ابيهِ ومن امهِ معاً . والذي يرثهُ من كلٍّ منهما يصل اليهِ محمولاً بالجرثومتين اللتين يتولَّد من امتزاجهما

ترى الفيل على ضخامة جسمهِ يتولَّد من جرثومتين صغيرتين الواحدة منهما تُرَى بالعين كاصغرما يكون والثانية لا ترى بالعين لصغرها ومع ذلك تكونان حاويتين كل صفات ابيهِ وامهِ . واغرب من ذلك ان هذه الصفات لا تكون في الجرثومة كلها بل في جزء صغير منها فان العالم بوفري اتى ببيض حيوان بحري من النوع المعروف بقنفذ البحر وقطع البيضة منهُ قطعتين ابقى النواة في قطعة منهما ولقَّح الاخرى بلقاح ذكر من نوع آخر من قنفذ البحر فتلقحت ونما منها حيوان نوعهُ مثل نوع الذكر كأَنَّ خلوَّها من النواة ازال منها صفات نوعها ولذلك فصفات النوع تكون في النواة . وصفات الاب تنتقل الى نسلهِ بواسطة النواة التي تكون في النطفة وصفات الام تنتقل الى نسلها بواسطة النواة التي تكون في البيضة

ولدى تدقيق البحث يظهر ان الحامل لصفات كل من الوالدين ليس النواة نفسها بل خيوط دقيقة تدخلها من البيضة والنطفة ومتى تلقحت البيضة وامتزجت نواتها بنواة النطفة تدعو الحال الى خروج جانب من هذه الخيوط من المزيج وبقاء الجانب الاخر فيهِ فيمتزج معاً وتتكون منهُ اعضاء الجنين المتولد منها . فجانب منهُ آتٍ من امهِ وجانب آتٍ من ابيهِ. ولعلَّ تولد الذكر والانثى متوقف على ما يتفق بقاؤُهُ في النواة من هذه الخيوط فاذا اتفق بقاء جراثيم الاعضاء المميزة للذكر كان المولود ذكرًا واذا اتَّفق بقاء جراثيم الاعضاء المميزة للانثى كان المولود انثى وقد لا يحدث ذلك اتفاقاً بل يتبع ناموساً مقرَّراً كأَن تكثر في النواة خيوط ابلغ الفريقين فاذا كانت النطفة ابلغ من البيضة فالمولود ذكر واذا كانت البيضة ابلغ من النطفة فالمولود انثى

ثم اذا كانت نواة البيضة صغيرة جدًّا حتى لا تكاد ترى بالعين لصغرها ونواة النطفة اصغر منها جدًّا حتى لا ترى الاَّ بالميكرسكوب الكبير فكيف تحوي كل منهما جراثيم آتية من كل عضوٍ من اعضاء الوالدين وكم يكون مقدار هذه الجراثيم في الصغَر . ولا بدَّ من ان تكون كل جرثومة منها مؤَلفة من دقائق كثيرة اصغر منها جدًّا فالى اي حد نصل . هنا يقف العقل مدهوشاً لان وسائط القياس التي ندركها بالنظر واللمس تقصر كثيرًا عن الوصول الى حد الدقائق الصغيرة التي تتأَلف منها الاجسام فقد قسموا المتر الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ملمترًا وقسموا الملمتر الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ميكرونًا ثم قسموا الميكرون الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ميكروملاً حتى يستطيعوا ان يقيسوا الجواهر الصغيرة التي تتأَلف منها الاجسام وبعد ان وقفوا عند الجوهر الكيماوي وسموهُ بالجوهر الفرد اي الجزء الذي لا يتجزأُ لظنهم انهُ اصغر جزءٍ يمكن الوصول اليهِ اكتشفوا الآن انهُ مؤَلف من نحو الف جزءٍ سموها الشوارد ions لانها تشرد او تتيه من القطب السلبي فاذا كان في السنتيمتر المكعَّب من الهيدروجين عشرون مليون مليون مليون من الجواهر الفردة وفي كل جوهر منها الف من هذه الشوارد ففي السنتمتر المكعب عشرون الف مليون مليون مليون شاردة. والعين لا تتبيَّن الجسم الصغير اذا كان حجمهُ اقل من جزءٍ من عشرين الف جزءٍ من السنتمتر المكعب فيكون في اصغر جسم تراهُ العين مليون مليون مليون شاردة من الشوارد فلا عجب اذا كان في جسم كل انسان عائش على وجه البسيطة الآن وفي كل دقيقة من دقائق جسمهِ ملايين كثيرة من الجراثيم الواصلة اليهِ من اسلافهِ واسلاف اسلافهم وبذلك تتضح اصول الوراثة الطبيعية وغرائبها

فتح المكسيك

(تابع ما قبلهُ)

ذكرنا في الجزء الماضي ما اصاب كورتس من التلسكاليين قبل ان اضطرَّهم الى الهزيمة وما وقع في نفسهِ منهم. وفي اليوم التالي لمَّ شعث رجالهِ وحاول ان يسترضي التلسكاليين بكل واسطة لينجو من شرهم ويستعين بهم على اهالي المكسيك فبعث اليهم اثنين من اعظم الشيوخ الذين اسرهم في اليوم السابق عارضاً عليهم الصلح وطالباً منهم ان يسمحوا لهُ بالمرور في بلادهم لا غير. وخاف ان يغرَّهم الغرور اذا هو ابدى الضعف فاختار شرذمة من نخبة فرسانهِ وسار بها ضارباً في البلاد غازياً ومخرباً وعاد بالغنائم والاسرى لكنهُ عامل الاسرى بالرفق واقنعهم انهُ اضطرَّ ان يغزو بلادهم اضطراراً لان حكومتهم بادأتهُ بالعدوان. ولما عاد الى معسكرهِ وجد الرسولين قد عادا اليهِ فقالا انهما التقيا بقائدهما الذي هُزم بالامس ومعهُ خمسون الف مقاتل وهو متربص لكورتس ولا بدَّ من ان يوقع بهِ لان جمهورية تلسكالا عزمت عزماً اكيداً ان لا تدعهُ يمر في بلادها

فاسقط في يد الاسبانيين وخافوا خوفاً شديداً وايقنوا بالهلكة فاعترفوا للكاهن على جاري عادة المسيحيين قبل الموت وتناولوا القربان مودعين الحياة

وعزم كورتس ان لا ينتظر هجوم التلسكاليين عليهِ بل يهجم هو عليهم لكي يبث الشجاعة في نفوس رجالهِ ويوقع الرعب في نفوس رجالهم. فجمع رجالهُ في الصباح وشدَّد عزائمهم واوصاهم ان يطعنوا التلسكاليين في وجوههم واوصى رجال المدافع والبنادق ان لا يكفوا عن اطلاق النيران وان يبقوا كلهم مجتمعين معاً حتى لا يتمكن العدو من اختراق صفوفهم

وكان التلسكاليون نازلين في سهل فسيح وقوادهم بالخوذ الذهبيَّة والحلل الريشيَّة وسنان رماحهم وحرابهم من النحاس الصقيل ينعكس عنها نور الشمس فيبهر النظر وفي مقدمتهم ما لا يحصى من الاعلام والبنود وبينها علم اللقلق الابيض شعار القائد العام وفوقهُ علم النسر الذهبي شعار الجمهوريَّة والرؤساء كلهم بالمضرَّبات المحشوة قطناً سمكها اصبعان او ثلاث لكي تقيهم رشق السهام والاغنياء منهم لابسون فوقها دروعاً من الذهب او الفضة وفي ارجلهم احذية من الجلد اطرافها من الذهب وعلى اكتافهم اردية من ريش الطيور منسوجة على اشكال بديعة وعلى رؤوسهم خوذ تشبه رؤوس الضواري فوقها ريش يتمايل في الهواء وفي ايديهم تروس من

الخشب مصفحة بالجلد الصفيق او من القصب مضرَّبة بالقطن عليها دهان صفيق وصور مختلفة حسب قبائلهم ومراتبهم

اما اسلحتهم فالمقلاع والقوس والسهم والحربة والمزراق وكانوا من امهر الناس برمي النبال يرمي الواحد منهم نبلتين او ثلاثاً في وقت واحد . وعندهم حراب مربوطة بحبال يرشقها الرامي ويبقى الحبل في يدهِ وكان معهم بدل السيوف عصي فيها قطع من الصوان الحاد قال واحد انهُ رأى رجلاً منهم ضرب بها فرساً فبرى رقبتهُ برياً

ولما اقبل الاسبانيون عليهم صرخوا صراخ الحرب وبادروهم برشق النبال اما الاسبانيون فظلوا سائرين الى ان صاروا على مرمى الرصاص فوقفوا ونصبوا مدافعهم وبنادقهم وجعلوا يقذفون بها نار الهلاك فتحصد التلسكاليين حصدًا . ودهش التلسكاليون في اول الامر ووقفوا مرتاعين من صوت البارود ودخانهِ ومن الفعل الذريع الذي كانت قنابلهُ تفعلهُ بهم ثم صرخوا صراخ الحرب وهجموا على الاسبانيين كالسيل الجارف ودفعوهم امامهم كما تدفع الريح العصافة . وناداهم كورتس يشجعهم ويحثهم على الثبات فضاع صوتهُ بين صرخات الهاجمين وايقن الاسبانيون بالهلاك سواءٌ ثبتوا او هربوا ففضَّلوا الثبات واعملوا سيوفهم ورماحهم في مقدمة التلسكاليين وبقيت المدافع والبنادق تحصد جناحهم واتجه التلسكاليون كلهم نحو الاسبانيين فوقع فيهم التشويش لكثرة عددهم وصار بعضهم يتعثَّر ببعض وانقضَّ كورتس عليهم بفرسانهِ فزادهم اضطراباً وتشويشاً . ومع مهارتهم في فن الحرب لم يكونوا يعرفون كيفية توزيع الجيش والتربُّص والهجوم فرَقاً فرَقاً فلما اشتركوا كلهم في الهجوم صدَّت مقدمتهم فعل قلبهم وساقتهم وصار اقل اضطراب يؤثر فيهم كلهم فاصابهم ما اصاب الفرْس مع الاسكندر المكدوني

وبينما كان الاسبانيون يحاولون الثبات والدلائل كلها تدلُّ على ان التلسكاليين لا بدَّ ان يفنوهم عن آخرهم ولو قتل بدل الرجل منهم عشرة وقع خلاف بين قائد التلسكاليين وامير من الامراءِ الذين معهُ فرمى القائد الامير بالجبن ودعاهُ الامير الى المبارزة ولما لم يجبهُ الى طلبهِ خرج الامير برجالهِ وهم عشرة آلاف مقاتل واقنع اميرًا آخر ان يحذو حذوهُ . ورأى القائد ان نصف جنودهِ تركوهُ فضعفت عزيمتهُ ولكنهُ لم يفشل بل عاد ونظَّم جنودهُ وبقي يساجل الاسبانيين اربع ساعات ولما وجد انهُ لم ينل منهم قدر ما نالوا منهُ عاد عنهم مخذولاً واكتفى كورتس بذلك فلم يسر وراءهُ واسرع الى جمع قتلاهُ ودفنهم لئلاَّ يراهم التلسكاليون فيعلموا ان الاسبانيين يموتون مثل غيرهم من البشر

وجُرِح كثيرون من الاسبانيين لكنهم سرُّوا بفوزهم فطابت نفوسهم وايقنوا انهم وان

كانوا جِنّة فلن يقف امامهم احد من اهالي تلك البلاد ما دام عندهم مدافع وبنادق وخيول

ورأى كورتس ان قد حانت الفرصة الآن لعرض الصلح على التلسكاليين بعد ان قهر جنودهم فاوفد اليهم بعض الشيوخ في هذا الشان فاجتمع مجلس شوراهم وتشاوروا في الامر وكانت حجَّة الراغبين في الصلح ما بان لهم من شهامة كورتس في معاملة الاسرى فقالوا هذا رجل تحسن مصادقتهُ لكن حجة الراغبين في الحرب كادت تقوى على حجتهم واخيرًا استدعوا الكهنة وسألوهم عمَّا اذا كان الاسبانيون بشرًا او آلهة. فتشاور الكهنة في ما بينهم ثم قالوا ان الاسبانيين ليسوا آلهة ولكنهم من اولاد الشمس وقوتهم من قوتها فاذا غابت الشمس عنهم ضعف امرهم وسهل تبييتهم . والمظنون ان هؤلاء الكهنة لم يقولوا هذا القول عن سخافة بل عن احتيال لانهم يعلمون فائدة التبييت اي الهجوم على العدو ليلاً . وقرَّ القرار على تبييت الاسبانيين وكتم الخبر لكي لا يأخذوا اهبتهم الاَّ ان الليلة كانت مقمرة وكان الاسبانيون على تمام التيقظ ينامون باسلحتهم وخيولهم مربوطة بجانبهم فنهضوا حالاً وهجموا على العدو وهو آتٍ عليهم خلسةً وكأَنَّ ظلمة الليل وضعف نور القمر كثَّرا عدد الاسبانيين وكبَّرا اجسام خيولهم فرآهم التلسكاليون اكثر ممَّا كانوا عددًا واكبر اجساماً فرشقوا ما بيدهم من النبال واركنوا الى الفرار وتبعهم فرسان الاسبانيين واوقعوا بهم وذبحوا منهم خلقاً كثيرًا

وعاد كورتس في الصباح فارسل الى عاصمة التلسكاليين يدعوهم الى الصلح واعدًا اياهم انهُ ينسى كل ما مضى ويتخذهم اصدقاء واذا لم يجيبوهُ الى طلبهِ دخل عاصمتهم عنوةً وخرَّب كل بيت فيها وقتل كل نفس بحد السيف . وامر الرسل ان يحملوا كتابهُ في اليد الواحدة وسهماً في اليد الاخرى فرحَّب بهم نوَّاب التلسكاليين هذه المرَّة لانهم اقتنعوا الآن ان لا قبَل لهم بمناوأة الاسبانيين واختاروا اربعة من امرائهم وارسلوهم الى كورتس ليقولوا لهُ انهم يرحّبون بهِ في عاصمتهم ويسمحون لهُ بالمرور في بلادهم ولكي يعتذروا لهُ عمَّا مضى ويعاهدوهُ عهد الصداقة وطلبوا منهم ان يمروا اولاً بقائد الجيش ويخبروهُ بما قرَّ عليهِ رأي مجلس الشورى فلما قابلوهُ واخبروهُ بانهم آتون لاجلهِ ابى ان يسمع لهم قائلاً ان هؤلاء الناس بشر مثلنا ولا بدَّ لنا من ان نقهرهم اخيرًا

ولما ارسل كورتس الرسل الى التلسكاليين سار بنفر من رجالهِ يغزو القرى المجاورة فاذا قابلهُ اهل قرية بالمسالمة تركهم وشأنهم واذا قاوموهُ اوقع بهم ونهب ما عندهم وعاد في المساء فرأى الفتنة قد استحكمت من رجالهِ فاتوهُ وكلموهُ لا كما يكلم المرؤوس رئيسهُ بل كما يكلم الصديق صديقهُ وشكوا اليهِ ما يلاقونهُ من الشدَّة وقالوا انهُ لم يبقَ احد منا الاَّ اثخنتهُ الجراح

ونحن عائشون عيشة نحسد فيها البهائم لان البهائم تتعب في النهار وتستريح في الليل واما نحن فنتعب نهارًا وليلاً تعبًا يفوق الطاقة وان كنا ضقنا ذرعًا بهذه الجمهورية الصغيرة فكيف نرجو ان نتغلَّب على مملكة المكسيك الكبيرة

فقال لهم اني اعلم انكم تجشمتم من المشاق ما لم يتجمشهُ قبلكم اليونان والرومان ولذلك سيكون فوزكم امجد من فوزهم . ثم اخذ يطرئ بسالتهم واقدامهم وقال لهم لا تنسوا أن يد الله القدير معنا وهو الذي يحارب حروبنا والنصر منهُ يؤتيهِ من يشاء . وانهُ هو لم يحجم عما حمَّلهم اياهُ بل قاسمهم المشاق كلها وكان النصر حليفًا لهم دائمًا فاذا ارتدُّوا مخذولين الآن بعد ان قهروا عدوهم فالحجارة نفسها تهزأُ بهم وتتهكم عليهم وتعيرهم الضعف والجبن . ورجوعهم لا ينجيهم من التلسكاليين فانهم يجدُّون في اثرهم ويصطادونهم صيدًا كما يصطادون الوحوش ويقدمونهم ضحايا لاصنامهم . وينقلب عليهم الذين حالفوهم من التوتنك ارضاء للمكسيكيين ويجهزون عليهم

فلم يقنعهم هذا الكلام بل قالوا ان واقعة اخرى مثل هذه تقضي عليهم وان وصل احد منهم الى بلاد المكسيك فيكون لكي يُذبح هناك . ولما ضاقت حجة كورتس استشهد بشعر لهُ وقع عظيم في نفوس الاسبانيين معناهُ ان الموت في القتال خير من حياة الذل فردَّد قولهُ الحضور وكأَنهُ كان طلسمًا على نفوس الكثيرين منهم اما زعماؤُهم فخرجوا يلعنون الساعة التي رافقوهُ فيها

وفي الصباح التالي اقبل على محلة الاسبانيين نفر من التلسكاليين بالحلل البيضاء علامة السلم ومعهم شيء من الهدايا من الطعام والحلي وقالوا انهم آتون من قائد التلسكاليين فانهُ ملَّ من الحرب ويود ان يصطلح مع كورتس وسيأتي بنفسهِ لهذه الغاية فسرَّ الاسبانيون بهذا الخبر الاَّ مريانا زوجة كورتس فانها اوجست خيفة من هؤلاء الرسل وقالت انهم جواسيس واطلعت كورتس على ما خامر نفسها فقبض على البعض منهم واستنطقهم على انفراد فثبت لهُ انهم من جواسيس القائد ارسلهم ليتجسَّس احوال الاسبانيين قبل الهجوم عليهم وعزم ان يجعلهم عبرةً لغيرهم فقطع ايديهم وارسلهم الى معسكر التلسكاليين وقال لهم انهُ مستعد ان يفعل كذلك بكل واحد منهم سواء اتوهُ نهارًا او ليلاً فارتاع قائدهم من هذا المنظر وثار رجالهُ قائلين انهم لا يحاربون عدوًّا يعرف اسرارهم وما يخامر نفوسهم فسمح لوفود مجلس الشورى ان يمضوا الى كورتس ويكلموهُ في امر الصلح وتبعهم هو بنفر من رجالهِ لابسين الاردية البيضاء والصفراء علامة السلم

وكان هذا القائد طويل القامة عريض المنكبين مجدول العضل كبير الراس مهيب الطلعة .

دخل على كورتس وسلَّم سلامهم العادي وهو لمس الارض باليد ورفعها الى الرأس وكان الغلمان بين يديهِ يوقدون الطيب في المباخر وتكلم فقال انني انا اقمت هذه الحرب وانا المسؤول عنها وقد فعلت ذلك لا لسابق عداوة بيني وبينكم بل لانني رأيتكم آتين مع انصار ملك المكسيك وهو عدونا فحسبت انكم ممالئون لهُ علينا فابى حبي لوطني ان يسمح لي بتركم تطأُون بلادي وتعبثون باستقلالها وقد قهرتموني المرَّة بعد الاخرى وهذا يدلني على انكم الرجال الذين تقول تقاليدنا انهم سياتون من المشرق ويمتلكون البلاد . ثم ودَّ ان يعدلوا ولا يعبثوا بحرية تلك الجمهورية وقال انهُ آتٍ باسم اهل بلادهِ ليقدم طاعتهم للاسبانيين واكَّد انهم يجدونهم صادقين في السلم كما وجدوهم صادقين في الحرب

فسُرَّ كورتس من منظر هذا القائد واعجب بانفتهِ وشجاعتهِ لكنهُ لامهُ لانهُ لم يثق بكلامهِ من اول الامر وقال لهُ انكم ان ثبتم على وعدكم ولم تخفروا لنا ذمةً ولم تنكثوا عهدًا وجدتمونا من اصدق الاصدقاء

ثم قدَّم القائد لكورتس هديةً من الحلى الذهبية والثياب الريشية واعتذر عن قلتها وبخسها بفقر التلسكاليين وقال انهُ لم يقدمها الاَّ علامة لشكرهم واكرامهم فقبل كورتس اعتذارهُ وقال انها عندهُ خير من بيت مملوءٍ ذهبًا

وبينما هم يتكلمون اتى وفود من قبل ملك المكسيك بهدايا نفيسة يحملها مئتان من الغلمان فيها ثلاثة آلاف اوقية من شذور الذهب والحلى الذهبية ومئات من الحلل المطرزة بالريش فانهُ كان يرقب سير كورتس في البلاد بعين الساهر الوجل وكانت رسلهُ تأتيهِ باخبارهِ يوميًّا حتى اذا دخل بلاد تلسكالا حمد الله قائلاً ان منيَّة الاسبانيين قادتهم الى تلك البلاد ثم لما بلغهُ انهم واقعوا التلسكاليين وقهروهم لم يبقَ ريب في نفسهِ انهم الغرباءُ الذين انبأَت التقاليد عنهم وانهم آتون لنزع الملك من يدهِ فاراد ان يبعدهم عنهُ بكل جهدهِ ولكنهُ ركب في ذلك متن الحماقة وحاول ابعادهم بالواسطة التي تظهر ضعفهُ وتزيد رغبتهم في الذهاب اليهِ وهي الهدايا النفيسة من الذهب ولما اعرب وفودهُ عن رغبتهِ قالوا ان الملك يخشى ان تزوروا بلادهُ فينالكم مكروهٌ من رجالهِ لكثرتهم ولانهُ اذا ثارت ثائرتهم تعذر عليهِ قمعهم فقال كورتس نحن قادرون على حماية انفسنا ولا يستطيع احد ان يوقع بنا ضرًّا وما ذهابنا الى عاصمتهِ الاَّ طاعة لامر ملكنا الذي ارسلنا لهذه الغاية . فقال احد الوفود ان ملكنا يدفع الجزية الى ملككم اذا كان ذلك يرضيكم ويفي بمراد ملككم من غير ان تزوروا عاصمتنا فزاد طمع كورتس بذلك وزادت جرأَتهُ

ولجَ التلسكاليون على كورتس حتى مضى الى عاصمتهم وخرجت المدينة كلها لاستقبالهِ رجالاً ونساء وهم بابهى الحلى وافخر الحلل كانهم في عيد من اعيادهم وزينوا بيوتهم باكاليل الازهار وقلائد الريحان. ودخل كورتس المدينة ومعهُ البعض من وفود المكسيك وكان قد صرف البعض الآخر ليعودوا ويخبروا الملك بما رأوا وظلَّ سائراً الى ان وصل الى قصر الرئيس الشيخ ابي القائد الذي حاربهُ وكان كفيف البصر فخرج لاستقبالهِ الى باب قصرهِ ورحَّب بهِ وادخلهُ الى القصر واولم لهُ ولرجالهِ وليمة فاخرة واعدَّ لهم منازل رحبة ينزلون فيها

وكتب كورتس الى ملك اسبانيا يشبهُ لهُ تلسكالا بغرناطة وقال انها اوسع منها واحصن واكثر سكاناً . والغالب ان كورتس بالغ في وصفهِ لان مباني غرناطة من اجمل مباني الدنيا ولا شيء في تلسكالا يقابل بها ولكن يظهر ممَّا ذكرهُ بعض الكتَّاب الاسبانيين عرَضاً ان عمران تلك البلاد كان في درجة عالية فقد ذكروا دكاكين الحلاقين وحمامات البخار وحمامات الماء السخن ونظام الشرطة (البوليس) وذلك كلهُ لا يكون الاَّ في المدن الراقية درجة عالية من العمران

واراد رؤساء المدينة ان يمكِّنوا عرى الاتحاد بينهم وبين الاسبانيين بالزيجة فاشاروا على كورتس ورجالهِ ان يتزوَّجوا من بناتهم فابى كورتس الاَّ ان يتنصَّر السكان كلهم قبل ذلك واخذ يشرح لهم اصول الديانة المسيحية فقالوا لهُ لا شبهة عندنا ان الهكم اله قوي ونحن نود ان نكرمهُ مع الهتنا اما الهتنا فلا يسوغ لنا تركها بعد ان حمتنا السنين الطوال . واراد كورتس ان يستعمل العنف فنهاهُ الاب اولميدو عن ذلك لانهُ خاف العاقبة وقال لهُ لا نفع من نزع الاصنام من الهيا كل ما لم تنزع من القلوب اولاً . واخيراً رضي كورتس ان يسمحوا لهُ بنصب الصليب في احد المعابد واقامة الخدمة الدينية فيهِ وتعميد الفتيات اللواتي اختارهنَّ زوجات لرجالهِ ومنهنَّ ابنة ذلك الرئيس الشيخ تزوج بها القائد الفرادو وسميت دونا لويزا وتزوج اولادها في اشرف عيال قشطالة وكان الفرادو من نخبة الفرسان واجملهم منظراً ابيض الوجه اشقر الشعر فاحبهُ التلسكاليون ولقبوهُ بالشمس لجمال طلعتهِ

وبينما كان الاسبانيون في مدينة تلسكالا ارسل ملك المكسيك يدعوهم اليهِ وارسل اليهم هدية فاخرة من الذهب وتوسَّل اليهم ان لا يحالفوا التلسكاليين ولا يمروا في بلادهم بل يمروا في بلاد شلولا . واعترض اهالي تلسكالا على ذلك واوجسوا شرًّا ونصحوا لكورتس ان لا يأْتمن منتزوما ولا اهل شلولا لانهم اهل غدر فابى ان يبدو عليهِ شيءٌ من الخوف واصرَّ على المسير الى عاصمة المكسيك مارًّا بمدينة شلولا

خرائب الشام

قلعة بعلبك وما كُشف فيها حديثاً

ايهِ آثار بعلبكّ سلامٌ بعد طول النوى وبعد المزار
ووقيتِ العفاء من عَرَصاتٍ مقويات أو آهلٍ بالفخار
خرَبٌ حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظار
معجزات من البناء كبارٌ لاناسٍ ملء الزمان كبار
زادها الشيب حرمةً وجلالاً توَّجتها بهِ يد الاعصار
معبدٌ للاسرار قام ولكن صنعهُ كان أعظمَ الاسرار
مثَّل القومُ كلَّ شيءٍ عجيب فيهِ تمثيلَ حكمةٍ واقتدار
صنعوا من جمادهِ ثمرًا يجـ ـنى ولكن بالعقل والابصار
وضروبًا من كل زهرٍ أنيق لم تفتها نضارة الازهار
وشموساً مضيئةً وشعاعاً باهرات لكنها من حجار
وطيورًا ذواهباً آيباتٍ خالدات الغدوّ والابكار
وأسودًا يخشى التحفُّز منها ويروع السكوتُ كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضوار
في عرانينها دخانٌ مثارٌ وبالحاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت في كل آنٍ روائع الزوَّار
ضمها كلها بديع نظام دق حتى كأنها في انتثار
في مقام للحسن يعبد بعد الـ ـعقل فيهِ والعقل بعد الباري
أهل فينيقيا سلام عليكم يوم تفنى بقية الادهار
لكمُ الارض خالدين عليها بعظيم الاعمال والآثار
خضتم البحر يوم كان عصياً لم يسخَّرْ لقوة من بخار
غير صعب تخليد ذكر على الار ض لمن خلدوهُ فوق البحار
شيدوها للشمس دار صلاةٍ وأتمَّ الاغريق حلي الدار

هذا ما نظمهُ الشاعر العصري خليل افندي المطران من قصيدة عامرة الابيات وصف

فيها تلك الخرائب ابدع وصف وذهب فيها ما ذهب اليهِ غيرهُ من ان الفينيقيين بنوا قلعة بعلبكَّ او الدكة الكبيرة ذات الحجارة الضخمة ثم شاد اليونان الهيكل الكبير فوقها والهيكل الصغير الى جانبهِ. وقد نُقِض هذا المذهب الآن وثبت ان الروم هم الذين بنوا الدكة والهيكلين

ولقد رأينا في ما شادهُ الاوربيون في ايطاليا وفرنسا وما بقي من آثار المصريين في هذا القطر ابنية تقارب ابنية بعلبكَّ فخامة وتزيد عليها جمالاً ولكن ليس فيها بناء يملأ العين دهشة والقلب سرورًا ثم يحرّك عواطف النفس حتى تذرف الدموع الهوامل مثل اطلال بعلبك(١). الفخامة في كبَر الحجارة والاعمدة واتساع البناء وعظمة كل ما فيهِ والجمال في بداعة النقش وانتساق الاجزاء واحكامها بعضها مع بعض على ما فيها من الفخامة ولكن الذي يحرّك الشجا ويقبض النفس بعد انبساطها ويفيض الدموع من المآقي فعل الدهر وابنائهِ في تخريب تلك المباني

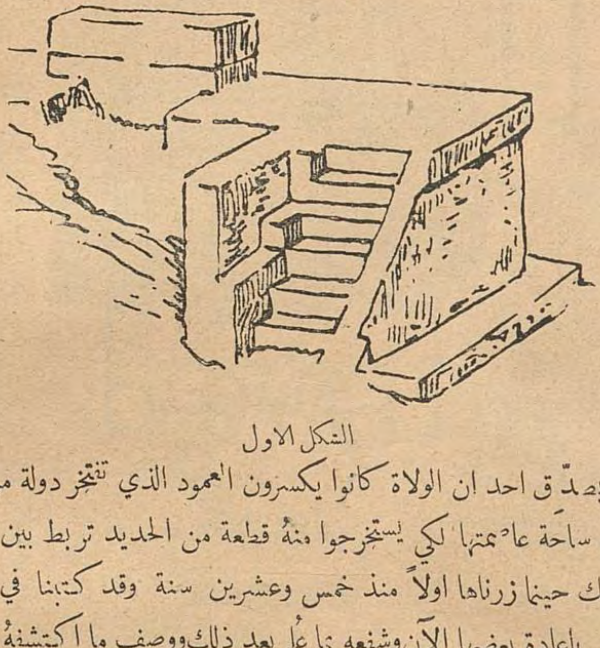

الشكل الاول

وتدميرها . أوَ يصدّق احد ان الولاة كانوا يكسرون العمود الذي تفتخر دولة من دول الارض بنصب مثلهِ في ساحة عاصمتها لكي يستخرجوا منهُ قطعة من الحديد تربط بين اجزائهِ . هكذا كان حال بعلبك حينما زرناها اولاً منذ خمس وعشرين سنة وقد كتبنا في وصفها حينئذٍ كتابةً لا بأس باعادة بعضها الآن وشفعهِ بما عُلِم بعد ذلك ووصف ما اكتشفهُ الالمانيون حديثًا اتمامًا للفائدة فنقول

بَعَلْبَكّ ويسميها اليونان هليوبوليس اي مدينة الشمس خرائب في الطرف الشمالي من

(١) قال العلامة رو بنصن انها تفوق في اتساعها ودقة صنعها كل بناء في اوربا وافريقية وغربي اسيا فهي مثل مباني اسيا في دقة الصنعة ولكنها تفوقها في الفخامة والاتساع ومثل مباني مصر في الفخامة والاتساع ولكنها تفوقها في دقة الصناعة وجمالها

سهل البقاع عند سفح لبنان الشرقي حيث الارتفاع عن سطح البحر نحو ٤٥٠٠ قدم. قال بعضهم ان معنى اسمها مدينة بعل حاسبين بكَّ مثل باكي المصرية ومعناها مدينة ولعلَّ ذلك سبب تسميتها هليوبوليس اي مدينة الشمس لان المعبود بعل يراد بهِ الشمس. ويرجح البعض ان معناها بعل البقاع فان معنى بقاع بالعبرانية والفينيقية مثل معنى بقاع العربيَّة اي السهل بين جبلين

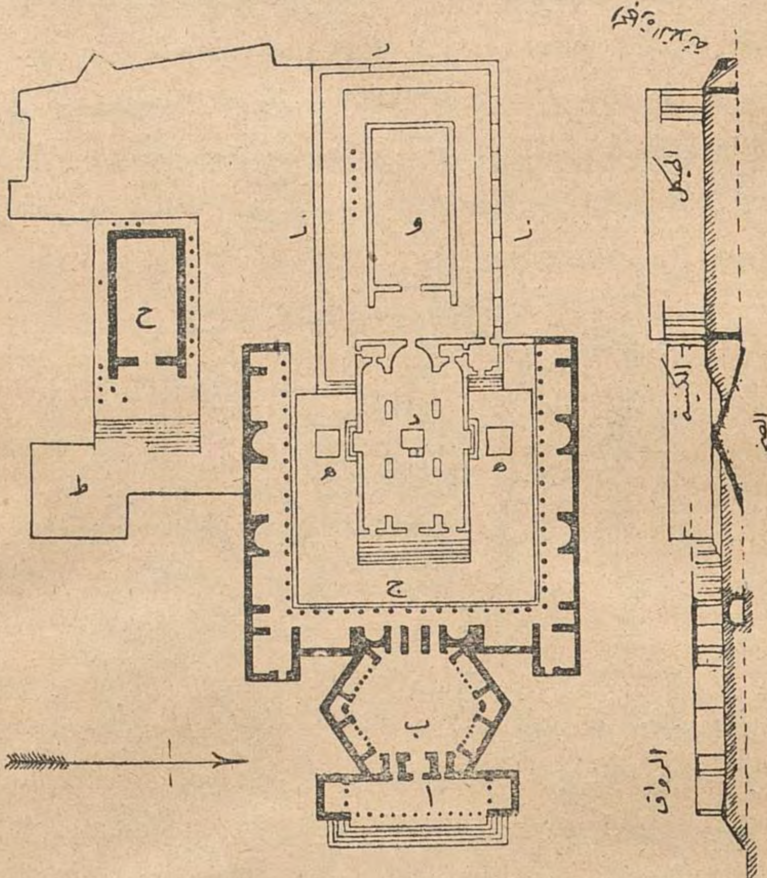

الشكل الثاني

والظاهر ان سكان سورية الاقدمين رأوا صخرًا مرتفعًا في طرف سهل البقاع يطلُّ على ما حولهُ من البلاد الخصبة وتجري بقربهِ مياه غزيرة فنحتوا فيهِ مذبحًا للشمس التي كانوا يعبدونها. وقد بقي هذا المذبح الى يومنا هذا وصورتهُ مرسومة في الشكل الاول يصعد اليهِ بدرج منحوت في الصخر. هناك كان يجتمع قدماء السوريين ويذبحون الذبائح للشمس ويشكرونها على الخيرات

الكثيرة التي انتجتها ارضهم بفضل نورها وحرها. وكأَنهم علموا ما يعلمهُ حكماءُ هذا العصر وهو ان كل قوة في الارض وما عليها للحركة والنماء آتية من نور الشمس وحرارتها لكنهم اخطأُوا في شكرهم للشمس نفسها لا لمبدعها

والظاهر ان هذا المعبد والبقعة التي هو فيها راقا للروم الذين فتحوا بلاد الشام وامتلكوها فاقاموا حولهُ دكة كبيرة حتى يتَّسع لهم المجال لبناء هيكل كبير ثم بنوا هيكلين فاتموا الصغير منهما وقبلما اتموا الكبير انتشرت الديانة المسيحية واعتنقها قياصرة الروم ومنعوا عبادة الاصنام وبنوا كنيسة في دار الهيكل الكبير وحوَّلوا الصغير كنيسة اخرى وجاء العرب بعدهم فجعلوا المكان قلعة وبنوا من انقاضهِ حصناً كما سيجيءُ

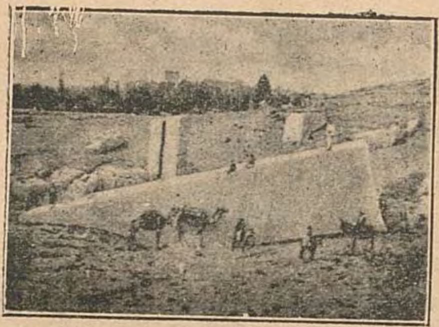

الشكل الثالث

ليلتفت القارئُ الى الشكل الثاني فيرى على يمينهِ شكلاً مقطوعاً في وسطهِ رسم الصخر الذي نحت منهُ المذبح الاول وحول هذا الصخر اقيمت الدكة التي بني الهيكل عليها اخيراً — اقيمت حتى توازي اعلى المذبح وجُعل في اطرافها اقبية كبيرة وثيقة البناء اقيمت جدران الهيكل واعمدتهُ على جدرانها ثم بني حولها سور من الحجارة الضخمة لكي يسندها ويمنع تقوُّض اركانها . وفي الجانب الغربي من هذا السور الحجارة الثلاثة المشهورة طول اكبرها ٦٣ قدماً وطول ثانيهِ ٦٢ قدماً و٣/١ قدم وطول الثالث ٦٢ قدماً وعلو كلٍّ منها ١٣ قدماً وقد قطعت على الراجح من محجر يبعد عنها نحو ربع ساعة حيث لا يزال حجر طولهُ ٧١ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً وعرضهُ ١٣ قدماً يسمَّى حجر الحبلى وهو المرسوم في الشكل الثالث والى جانبهِ وفوقهُ رجال وجملان وثلاثة حمير ليظهر كبر حجمهِ بالنسبة اليها

وفي الجانب الشمالي من هذا السور تسعة حجارة كبيرة طول كل منها ٣ قدماً وكان

الجانب الجنوبي مطموراً فكشف وفيهِ حجارة كبيرة مثل هذه . وارتفاع الدكة خمسون قدماً وعليها بنى الرومان هيكلهم الكبير ثم بنى المسيحيون كنيستهم في دارهِ ويتضح ذلك جليًّا من النظر الى الشكل الثاني وتتبع ما يلي من الشرح

مَن يدخل الهيكل من الجهة الشرقية حيث الحرف ا يجد هناك رواقاً كبيراً طولهُ ١٨٠ قدماً وعرضهُ ٢٧ قدماً في كل طرف من طرفيهِ برج وكان امام هذا الرواق من الجهة الشرقية درج يصعد بهِ اليهِ لانهُ يرتفع عن سطح الارض التي امامهُ عشرين قدماً ولم يبقَ شيء من هذا الدرج الآن وكان فوق الدرج اثنا عشر عموداً لم يبقَ منها الاَّ قواعدها وعلى قاعدتين منها كتابة لاتينيَّة قرأها السائحان وود ودوكنس منذ مئة وخمسين سنة مفادها ان الهيكل الكبير بناهُ انطونيوس بيوس وجوليا دومنا (في اواسط القرن الثاني) . والبرجان اللذان على طرفي هذا الرواق مبنيان بحجارة كبيرة طول بعضها ٢٤ قدماً وهي مزخرفة بالنقوش من الداخل والخارج وامام كلٍّ منهما باب يوصل منهُ الى الاقبية التي في الدكة

وغربي الرواق البهو المسدَّس المدلول عليهِ بالحرف ب يوصل اليهِ بباب اتساعهُ ١٧ قدماً وعلى جانبيهِ بابان آخران اتساع كل منهما عشر اقدام وعرض المسدَّس من الشرق الى الغرب نحو ١٩٠ قدماً وطولهُ من الزاوية الشمالية الى الزاوية الجنوبيَّة نحو ٢٥٠ قدماً وعلى دائرهِ اربع مقاصير قائمة الزوايا امام كلٍّ منها اربعة اعمدة ومقاصير اخرى بينها . ونقوش هذا المسدَّس وزخارفهُ تدهش الابصار وهي خربة متصدعة فكيف بها وقتما كانت عامرة سالمة

ويوصل من المسدَّس الى دار الهيكل وهي المربع الكبير المدلول عليهِ بالحرف ج. وبين المسدَّس والدار باب كبير عرضهُ خمسون قدماً على جانبيهِ بابان صغيران عرض كلٍّ منهما عشر اقدام وطول الدار من الشرق الى الغرب ٤٤٠ قدماً وعرضها من الشمال الى الجنوب ٣٧٠ قدماً وحولها مقاصير ومحاريب للعبادة ونصب التماثيل وكان على دائرها اعمدة تحيط بها كما ترى في الرسم وفي المقاصير محاريب كثيرة في طبقتين الواحدة فوق الاخرى لنصب التماثيل وبين المحراب والمحراب عمود او اكثر من الشكل الكورنثي البديع الصنعة واشكال المحاريب مختلفة فبعضها مقوَّس وبعضها صدفي وبعضها مقطوع من اعلاهُ والظاهر ان الاعمدة التي كانت امام هذه المقاصير والمحاريب كانت من المرمر السماقي المصري لان بعضها لا يزال مطروحاً هناك وقطر الواحد منها نحو ثلاث اقدام

لما زرنا بعلبك منذ خمس وعشرين سنة كانت هذه الدار مملوءة بالانقاض لا يعرف ما كان قائماً فيها وقد قلنا حينئذٍ " ان في وسطها قطعة مربعة من الارض ارفع من ارضها يسيراً

عليها اثر البناء والظاهر انها كانت هيكلاً او نحوهُ". وهناك كان اكثر نقب الباحثين من الالمان بامر امبراطور المانيا فوجدوا آثار كنيسة قديمة طولها من الشرق الى الغرب نحو ٢٣٠ قدماً وعرضها من الشمال الى الجنوب ١٢٠ قدماً كما ترى في الشكل الثاني وكان في وسطها حيث الحرف د مذبح كبير طولهُ نحو ٢٨ قدماً والى جانبهِ الشرقي المذبح القديم المنحوت في الصخر والى يمينهِ ويسارهِ حيث الحرفان ه ه حوضان كبيران لغسل الذبائح او للتطهير جوانبهما كثيرة النقوش والزخرفة فيها الاكاليل وقلائد الازهار ورؤُس البشر والثيران والالهة والحيتان والظاهر انهما اقدم من الكنيسة . والكنيسة تشبه في شكلها وبنائها كنيسة الامبراطور قسطنطين في القدس الشريف والظاهر انها بنيت معها في زمن واحد وان العرب هدموها ان لم تكن قد هُدمت بزلزلة وبنوا مكانها حمَّاماً

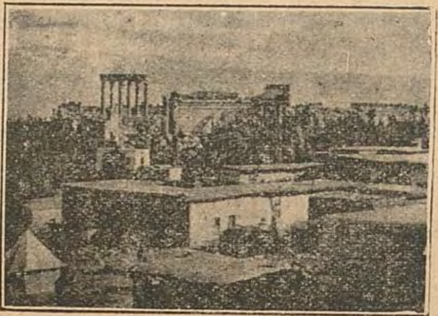

الشكل الرابع

وغربي الكنيسة الهيكل الكبير حيث هيكل الشمس او هيكل جميع الآلهة وهو قائم على الدكة الصناعية المشار اليها آنفاً وفي جدران سورها الحجارة الكبيرة حيث الحرف ر وحجارة اصغر منها حيث الحرفان ز ز وقد كان هذا الهيكل من اكبر هيا كل المسكونة واجملها ولكن لم يبقَ منهُ الآن الاَّ ستة اعمدة قائمة تناطح السحاب صبرت على نائبات النوازل وعصت على غائلات الزلازل وهي النقط السوداء في الرسم الى الجهة الجنوبية من الهيكل وهي اول ما يظهر من بعلبك عن بعد كما ترى في الشكل الرابع . وكان طول هذا الهيكل ٢٩٠ قدماً وعرضهُ ١٦٠ قدماً يحيط بهِ اربعة وخمسون عموداً لم يبقَ منها قائماً غير هذه الستة علو كلٍ منها ٦٢ قدماً وفوقهُ افريز ارتفاعهُ ١٤ قدماً ونقوش هذا الافريز وتيجان الاعمدة مما يعجز عن وصفهِ قلم البليغ واعجب من ذلك تحكيم وضعها على ضخامة جرمها وعظيم ثقلها والارتفاع الشاهق الذي رفعت اليهِ

والعمود ثلث قطع متصلة بعضها ببعض اتصالاً متيناً بقطعة او قطعتين من الحديد وهو الذي جنى عليها فكُسرت لكي يؤخذ

هذا من حيث الهيكل الكبير اما الهيكل الصغير فهو المدلول عليهِ بالحرف ح في الشكل الثاني الى الجنوب من الهيكل الكبير ولم يزل قائماً وهو من الطراز الكورنثي مثل الهيكل الكبير طولهُ مع رواق الاعمدة الذي حولهُ ٢٢٥ قدماً وعرضهُ ١٢٠ قدماً وطول البناء من غير الاعمدة ١٦٠ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً وكان يرقى اليهِ من جهتهِ الشرقية بسلَّم فيها ٣٠ درجة بقيت الى عهد السائح دلاروك الذي زارهُ سنة ١٦٨٨ . والاعمدة التي حولهُ ١٥ من الشمال و١٥ من الجنوب وثمانية من الغرب وكان في الشرق صفان من الاعمدة الداخلي منهما مضلَّع وقطر كل عمود من اعمدتهِ ست اقدام وعقدتان وطولهُ ٤٦ قدماً وقد سقط اكثرها ولم يبقَ منها الآن قائماً الاَّ ما تدلُّ عليهِ النقط في الرسم والعمود الجنوبي منها سقط منذ امد بعيد واستند الى الجدار ولا يزال كذلك حتى الآن ولا تزال الاعمدة الشمالية قائمة وكذلك السقف الذي بينها وبين جدار الهيكل بما فيهِ من نقوش الازهار واوراق الاشجار والتماثيل الجميلة الصورة . وباب هذا الهيكل من عجائب المباني بنقوشهِ وعتبتهُ ثلاثة حجارة كبيرة انقضَّ الاوسط منها حتى كاد يسقط فدعم ببناءٍ قبيح المنظر ازالهُ الباحثون الالمانيون الآن وردُّوا الحجر الى وضعهِ الاول

وعند الحرف ط البناء العربي وهو حسَن في غير هذا المكان لكنهُ قبيح هنا بالنسبة الى ما حولهُ والظاهر ان الباحثين سيزيلونهُ ويزيلون كل بناءٍ جدَّ هناك بعد بناء الرومان

وقد بنيت بعلبك في اوائل التاريخ المسيحي وكانت في القرن الرابع من اعظم معاهد الديانة الوثنيَّة هيكلها الكبير لعبادة الشمس اوجميع الالهة وهيكلها الصغير لعبادة المشتري وضربت فيها النقود وعليها صورة الهيكلين . وكان لعبادة الشمس الشان العظيم في سورية ولكهنتها المقام الرفيع حتى ان الامبراطور سبتيموس سفروس تزوج جوليادومنا ابنة كاهن الشمس في حمص ومعلوم ان هليوجبلوس الحمصي كاهن الشمس صار امبراطوراً لرومية وقرن السوريون عبادة الزهرة بعبادة الشمس وكانوا يأتون بعلبك لهذه الغاية لان فيها هيكلاً صغيراً للزهرة وهو من اجمل المباني القديمة وسنعود الى وصفهِ في وقت آخر ولذلك كان اهالي بعلبك في اشد الحمَس الديني حتى انهم قتلوا جلاسينوس الممثل سنة ٢٩٧ للميلاد لانهُ تنصَّر وابى ان يمثل في المشهد

ثم لما قوي شأن النصرانية في عهد الملك قسطنطين خرب هيكل الزهرة في افقا بجبل لبنان وأمرَ ان يقلع اهالي بعلبك عن فظائع الديانة الوثنية لان النساء والبنات كن يعرضنَ للبغاءِ في عبادة الزهرة وان يُرغَّبوا في اعتناق الديانة المسيحية وبني كنيستهُ المشار اليها آنفاً في دار الهيكل

الكبير او حوَّل الهيكل كنيسة وسام لها اسقفاً وشمامسة ولكن بقيت عبادة الاصنام في المدينة لانها كانت ارسخ من ان تزول سريعاً

ثم لما قام الامبراطور يوليان المرتد سنة ٣٦١ اعاد الديانة الوثنية الى عزها الاول وفتك اهلها بالمسيحيين فتكاً ذريعاً في بعلبك وقتلوا الراهب كيرلُّس الذي كسر اصنامهم وقطعوهُ ارباً واكلوا كبدهُ ونفي المسيحيون من الاسكندرية الى بعلبك حيث لا يجدون مسيحيين غيرهم يهتمون بامرهم

وقام الامبراطور ثيودوسيوس الكبير سنة ٣٧٩ فلم يكتفِ بما فعلهُ قسطنطين من اقفال هياكل الاصنام بل خرَّبها تخريباً وحوَّل هيكل الشمس في بعلبك الى كنيسة والظاهر ان دعائم الوثنية تقوَّضت من بعلبك من ذلك الحين

ولما فتح ابو عبيدة بن الجراح دمشق وقصد مدينة حمص مرَّ على بعلبك ولما قرب منها التقى بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس معهم البغال والدواب وعليها من انواع التجارات اكثرها من السكَّر والفستق والتين فغنمها . وحاصر بعلبك فصالحهُ اهلها على الفي اوقية من الذهب والفي اوقية من الفضَّة والفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف وعلى ان يدفعوا خراج الارض تلك السنة ويؤدوا الجزية كل عام لكنهم شرطوا على ابي عبيدة ان لا يدخل عاملهُ المدينة وتم الصلح على ذلك واستعمل ابو عبيدة على المدينة رافع بن عبدالله السهمي وضمَّ اليهِ تسعمائة فارس فاقام خارج المدينة وجعل يغزو البلاد المجاورة و يعود بالغنائم ويبيعها من اهل المدينة فانسوا اليهِ وادخلوهُ مدينتهم فحصَّن هيكلها ومن ثم صار قلعة للمسلمين

وفتح القرامطة بعلبك سنة ٢٩ للهجرة وقتلوا اهلها ولم يبقوا منهم الاَّ القليل . ثم تناوبتها الحروب والزلازل والسيول وايدي التدمير والتخريب كما تناوبت غيرها من مدائن الشام فلم تبقَ منها الاَّ آثار عظمتها السالفة

وزارها بلون السائح الفرنسوي سنة ١٥٤٨ فرأى هيكلها الكبير لا يزال قلعة وكانت اعمدتهُ القائمة تسعة ثم وقع منها ثلاثة بالزلزلة التي حدثت سنة ١٧٥٩ وكانت اعمدة الهيكل الصغير القائمة ٢٩ فوقع منها تسعة وتخلخل الحجر الاوسط من عتب بابهِ . والدهر يفجع بعد العين بالأثر

وقد نقلنا الشكل الاوَّل والثاني من اشكال هذه المقالة عن نبذة كتبها الدكتور الفرد باس في نشرة جمعية النقب في فلسطين

أكبر الخادعات

تروي بستاناً وتسمده وتحرثهُ وتزرع فيهِ اجود انواع النبات فينبت معها اعشاب سامّة تزيد عليها نماء وزكاء . وهذا شأن العمران فانهُ لم يتلف بزور الشر مع كل ما استعمل من الوسائل لاتلافها بل زاد العقول استعداداً لنموها ولذلك فاهل الخداع من الاوربيين والاميركيين امهر من كل احد في اكل الحقوق واختلاس الاموال

ولبعض الجرائد الاوربية عناية خاصَّة بكشف اخاديع الخادعين ولا سيما الجريدة الانكليزية المعروفة بالتت بتس والجريدة الفرنسوية المعروفة بالماتن . وقد نشرت هذه الاخيرة الآن خبر خادعة اسمها مدام امبر تواطأت هي وشركاؤها على اختلاس ستين او سبعين مليوناً من الفرنكات وهاك بعض ما نُشر عنها في الجرائد الانكليزية والفرنسوية

كان اسم هذه المرأة قبل ان تزوجت تريز دورنياك ولما كانت في الثامنة عشرة من عمرها كانت مسافرة بسكة الحديد ذات يوم فسمعت انيناً من المركبة الملاصقة لمركبتها فبادرت اليها ورأت فيها شيخاً يئنُّ متألماً ففكت طوق رقبتهِ وبذلت جهدها في تخفيف آلامهِ الى ان بلغ القطار باريس وكان الرجل قد خفَّ ما المَّ بهِ فسألها عن اسمها وقال لها ان اسمهُ روبرت هنري كروفرد ومضى في سبيلهِ وكان ذلك سنة ١٨٧٤ او ١٨٧٥

وسنة ١٨٧٦ تزوجت هذه الفتاة بالمسيو فردرك امبر ابن وزير الحقانية ونائب رئيس مجلس الشيوخ وبلغها في السنة التالية ان روبرت هنري كروفرد المار ذكرهُ مات واوصى لها بمئة مليون فرنك وكتب وصيتهُ في نيس في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧ . وبعد بضعة ايام جاءها اخوان قالا انهما ابنا اخ كروفرد المتوفى وانهُ اوصى لهما بمئة مليون فرنك ووصيتهُ مؤرخة في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧ لكلٍ منهما الثلث والثلث الثالث لاخت مدام امبر ان تزوجت باحدهما ويشترط على الثلاثة ان يدفعوا لمدام امبر ثلاثين الف فرنك كل شهر اي ٣٦٠ الف فرنك في السنة

وقال هذان الشابان لمدام امبر انهما غنيان جداً يمتلكان خمس مئة مليون فرنك او عشرين مليوناً من الجنيهات فلا حاجة بهما للمال الذي تركهُ عمهما وغاية ما يطلبان ان تبقى هذه الاموال لعائلة كروفرد ولذلك طلبا منها ان تبقي الاموال عندها وهي اوراق مالية فتقطع منها كوبونات كل سنة بمقدار المال المقطوع لها وهو ٣٦٠ الف فرنك وتحفظ الاصل

الى ان تكبر اختها وتقترن بواحد منهما فوضعت الاوراق في خزانة حديدية في بيتها ولم تكن تفتحها الاَّ مرةً في الشهر لقطع كوبون بثلاثين الف فرنك

قال مكاتب التيمس ووقع الخلاف بين مدام امبر وبين هذين الشابين على هذه التركة فرُفعت الدعوى الى المحاكم وطال فيها الاخذ والرد وحمي وطيس الدفاع من الطرفين وانبسط مجال المرافعات واشتد نضال المحامين في المحاكم الابتدائية والاستئنافيَّة حتى بلغوا محكمة النقض والابرام ولا يبرحون في كرّ وفرّ واحجام واقدام واظنهم لا ينتهون منها مدى الايام

ولا يسع المقام تفصيل المداعاة وبسط المرافعات التي عرضت في شأنها وقد ناءت بها اعمدة الصحف وضاقت عنها صفحات الجرائد على رحبها ولكنني اشير الى امر يحير الالباب وهو انك لا تجد احداً يقول انهُ رأى في حياتهِ اوعرف الموصي او ابني اخيهِ ولا ترى احداً يعرف وطن الموصي ولا احوال ابني اخيهِ ولا مقتنياتهما ولا وكلاءها ولا البنوك التي تعاملهما ومع ذلك ترى ذينك المدعيين الوهميين يحرران الصكوك ويوقعان البلاغات والعرائض ويعملان كل ما يعملهُ المدعون ولو كانا مجهولي الحقيقة والعلاقات . ولما فُتش عنهما رسميًّا في نمرة ١٢٠٢ بشارع برود واي في نيويورك تبيَّن ان المكان الذي قيل انهما يسكنانهِ بيت علوي مفروش ومعد للاجرة ولم يسكنهُ احد قط ممن يسمى باسمهما . ولما بحثوا على مسكن الموصي تبين ان المحل الذي ادَّعوهُ لسكناهُ هو حديقة لا بيت فيها

واغمض من هذا وذاك ان مدام امبر الوارثة الاولى ادعت ان في خزانتها الحديديَّة مئة مليون فرنك نقوداً واوراقاً مالية وهي التركة المذكورة وقد اودعت عندها برضى الفريق الآخر الوهمي اعني اختها وابني اخي الموصي على شرط انها لا تمس شيئًا منها ولا تفتحها والاَّ اضاعت كل حقوقها في الدعوى والغريب ان الناس صدقوا ادعاءها واعتماداً على تصديقهم جعلت تستدين الملايين العديدة ربًا فاحش فوجدت ارباب الاموال فاتحين لها خزائنهم لتأخذ منها ما شاءت فاشترت منزلاً فخيمًا في باريس وقصرًا باذخًا وعملت اعمالاً كثيرة من الاعمال المالية العظيمة واستدانت من محل جيرار وشركائهِ ستة ملايين ومئتي الف فرنك ومن المسيو لفيفر اربعة ملايين ومئتي الف فرنك ومن البنك العقاري مليونًا وخمسين الف فرنك ومن الجمعيَّة العموميَّة ستة مئة الف فرنك ومن البنك الصناعي كذلك ومن بنك فرنسا مئتي الف فرنك ومن شركات اخرى واصحاب معامل وعقارات اموالاً طائلة حتى بلغ كل ما استدانتهُ ٣٢ مليون فرنك في رواية و٥٢ مليون فرنك في رواية اخرى

ولما تقاضاها الدائنون ما لهم ولم توفهم اشتد الخطب على احدهم جيرار وهو صاحب السهم

الاكبر وافضى بهِ الامر الى الانتحار فرفع مدير حساباتهِ الدعوى عليها فصدر حكم المحكمة عليها بدفع مليونين وخمس مئة الف فرنك وبتسليم ما في خزانة الحديد . على ان مدام امبر اتفقت مع دائنيها على وجهٍ ارضى الفريقين ومنع من فتح الخزانة والتفتيش لكن كيفية الاتفاق ظلت مجهولة ولم يعلم بها احدٌ . ويقال ان المحامي عنها امدها بمليونين وخمس مئة الف فرنك من مالهِ

ثم ان المسيودت رئيس محكمة السين المدنية اجاب طلب المسيو مورل احد الدائنين وبالاتفاق مع المحامي عن مدام امبر اوعز الى رئيس قلم التسجيل ان يذهب مع مأمور آخر من هذا القلم الساعة ١ بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٩ الجاري ويفتحا الصندوق وينظرا هل فيهِ مئة مليون الفرنك التي اوصى بهِ كروفورد ام الدعوى كاذبة ومبنيَّة على الغش والخداع

ولم تحن الساعة الاولى بعد ظهر يوم الجمعة الآكان الناس تجتمعين يزحمون بعضهم بعضاً امام منزل مدام امبر ثم جاء المعينون من قبل المحكمة لفتح الخزانة الحديدية . ولما دخلوا المنزل لم يجدوا فيهِ احداً وظهر بعد البحث ان مدام امبر وزوجها واختها وبقيَّة شركائها اركنوا الى الفرار منذ اسبوع . فجيء بحدادين فكسروا الخزانة ولم يجدوا فيها سوى علبة فارغة وظروف قديمة فكان ذلك خاتمة هذه الحيلة التي بقيت عشرين سنة وربما بقيت سنين عديدة طي الخفاء والكتمان لو لم تهتك سرها جريدة الماتن . ومهما يكن في هذه المسألة من الغرابة فاغرب ما فيها ان قوماً من نخبة اصحاب البنوك وارباب المعامل الكبرى والشركات المشهورة في باريس يؤْخذون بمثل هذه الترهات ويقعون في احبولة حيلة تسلبهم خمسين مليون فرنك. وآخر ما علمناهُ من امر اصحاب تلك الحيلة انهم فروا من منزلهم يوم الخميس في ٨ الجاري قاصدين انكلترا

ثم ان الحكومة الفرنسوية أخذت توالي البحث والتنقيب وتقبض على كل من توجه اليهِ تهمة او شبهة توصلاً الى الوقوف على سرّ تلك الخديعة فقبضت في ١٠ الجاري على المسيو دومون احد موظفي قلم التسجيل سابقاً في روان وفتشت منزلهُ بباريز فعثرت فيهِ على اوراقٍ كثيرة . وقبضت ايضاً على المسيو بارمنتير وكيل هنري وروبرت كروفورد الوهميين ووجدت في خزانة قرينتهِ كثيراً من الاوراق واصدرت الاوامر بالقبض على المسيو امبر وزوجتهِ وشقيقتها ويظن انهم غادروا باريز في ليل ٧ الجاري ومعهم مبلغ عظيم من النقود . وقد ظن في بادىء الامر انهم ركبوا باخرة المانية من شربورج الى اميركا لكن ذلك لم يتحقق

اما سبب القبض على المسيو دومون والمسيو بارمنتير فلانهما شهدا للجمهور بصحة ما ادعتهُ مدام امبر من وجود مئة مليون فرنك في خزانتها فكانا علة انخداع الناس بهذه الحيلة وكان في باريز شركة تدعى "رنت فياجير" (الدين مدى العمر) يديرها اخوة مدام البرت وتؤيدها

جريدة الكروى المشهورة ويدعي اصحابها ان راس مالها عشرة ملايين فرنك فهذه أُقفلت بامرٍ قضائي . ويظهر ان اصحابها كانوا من اكبر مروّجي تلك الحيلة . وقد طُلب مديروها فلم يوجد لهم أثر ومما تبين أخيرًا ان هذه الشركة كانت تقبل الودائع المالية وتدفع لاصحابها الربا من اصل راس المال والذين ذهبوا ضحايا خديعتها يعدون بالالوف

وقالت الدايلي مايل ان مدام امبر كانت تسكن قصرًا فاخرًا في شارع الغراندارمه بباريس فيهِ افخر الاثاث والرياش وكان عندها من الصور والحلى ما تقدَّر قيمتهُ بالالوف الكثيرة ويزورها جلَّة القوم وفي جملتهم المرحوم فلكس فور رئيس الجمهورية السابق وكل زعماء الحزب الوطني ويقال ان عندها صورًا فوتوغرافية اذا نشرت اعادت ذكر بناما وفضائحها . ولما بلغت اختها سن الرشد وجازتهُ لانها الآن في الاربعين من عمرها ابت ان تتزوَّج باحد الاخوين وظلت مدام امبر تستدين المال من المغرورين بحيلها مدعية انها لا تستطيع ان تنفق من المئة مليون فرنك التي في خزانتها اما لم تتزوَّج اختها باحد الاخوين او تثبت التركة لها وقد الفت شركة للتأمين على الحياة وجعلت تشتري بالاموال التي يدفعها اليها المؤمنون على حياتهم سندات من سندات الدين الفرنسوي وتقطع الكوبون منها وتصرفهُ فتوهم الناس انها تصرف من كوبون السندات التي في خزانتها واذا طالبها مداين ولجَّ في الطلب وفتهُ دينهُ كلهُ او بعضهُ ممَّا تستدينهُ من غيرهِ

وآخر ما وصلنا من اخبار هذه الحادثة الغريبة ان حكومة باريز قبضت على رجل ثالث لهُ علاقة بها وهو المسيو لنجلوى احد موظفي قلم التسجيل سابقاً وقهرمان مدام امبر . وقد دافع عن نفسهِ بقولهِ انهُ لم يشترك في الخديعة والاحتيال بل كان مغرورًا مخدوعاً وقال ان مدام امبر ارتهُ من كوبونات الرنت الفرنساوي ما تبلغ قيمتهُ مليوني فرنك في السنة فصدقها كما صدقها كثيرون غيرهُ واقتنع بغناها واخذ يقنع الآخرين وقد خسر بسببها مالاً طائلاً . وكان المسيو لنجلوى مديرًا لشركة العقارات والمنقولات العمومية التي هي الآن تحت التصفية وقضى عشر سنين عائشاً عيشة كبار المتمولين في الاسراف والتأنق في المأكل والملبس ويروى عنهُ انهُ باغرائهِ استدانت مدام امبر من رجلين خمسة ملايين فرنك فهو والحالة هذه معدودٌ من جملة شركائها في المخاتلة والمخادعة

وجاء في احدى الجرائد ان المسيو بارمنتيه وكيل هنري وروبرت كروفورد الوهميين كتب بعد ما قُبض عليهِ كتاباً قال فيهِ انهُ بريءٌ من كل ما اتهم بهِ وان التحقيق سوف يظهر ذلك للعيان وان الماكر الكبير" والنصاب " العظيم الذي رسم لارباب هذه الحيلة خطة الخداع هو المسيو امبر الكبير ناظر الحقانيَّة في عهد وزارة المسيو دي فراسينه فجرى ابنهُ وزوجتهُ على

خطتهِ وعملاً بمشورتهِ . ويقال انهُ اول من اختلق خبر هذا الارث وتذرع بهِ الى السلب والنهب فانهُ ذهب يوماً الى تورسان ونزل ضيفاً على طبيب لا يعرفهُ الاَّ قليلاً فرحب بهِ واكرم مثواهُ وفي صباح يوم من الايام جاءتهُ المكاتيب فقرأها مسروراً واخبر الطبيب ان ابنهُ ورث ميراثاً عظيماً ثم قصَّ عليهِ خبر الميراث فقال ان غنياً بورتغالياً من اصحاب الملايين العديدة مرَّ بتولوز منذ عشرين عاماً فتعرف بحماة ابنهِ واحبها وتبنى ابنتيها واوصى لهما باموال لا تحصى وكتب وصيتهُ بقلم من الرصاص فنازعهما اقاربهُ فيها فعرضت المسألة على الحاكم وهو يحتاج الآن الى مال طائل لينفق على هذه القضيَّة ثم طلب ان يقرضهُ ستين الف فرنك فنقدهُ اياها في الحال وكان ذلك فاتحة الاحتيال

نازلة مرتنيك

مرتنيك جزيرة من جزائر الهند الغربيَّة على مقربة من الطرف الشمالي الشرقي من اميركا الجنوبيَّة مساحتها ٣٨١ ميلاً وعدد سكانها نحو مئتي الف نفس اكتشفها الاسبانيون سنة ١٤٩٣ وضمها الفرنسويون الى مستعمراتهم سنة ١٦٣٥ وحكومتها منتظمة كغيرها من المستعمرات الفرنسوية لها حاكم عام ومجالس ادارة ومجالس بلدية ونائبان في مجلس النواب الفرنسوي ونائب في مجلس الشيوخ . فيها مدينتان كبيرتان سن بير وفوردفرانس كان في الاولى نحو ٢٦ الفاً من السكان عدا من يكون في السفن الراسية في مرفإِها وفي الثانية ١٧ الفاً وفي الجزيرة مدرسة للحقوق وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة للمعلمين و ١٥٢ مدرسة ابتدائية و ٧٥ مدرسة خصوصيَّة ويزرع فيها قصب السكر والبن والكاكاو والتبغ والقطن والحبوب على انواعها وتبلغ قيمة الصادرات منها ٢٧ مليون فرنك وقيمة الواردات اليها ٢٥ مليون فرنك فمتوسط تجارتها الخارجية ثلاثة اضعاف متوسط التجارة في القطر المصري بالنسبة الى عدد السكان . وتمر بها البواخر الفرنسوية والانكليزية والاميركية في مواعيد معلومة ويتصل بها سلكان من اسلاك التلغراف البحري تتصل بهما بالمسكونة كلها اي ان سكان هذه الجزيرة كانوا في رغد ونعيم في كل ما يخضع لعقل الانسان ويدهِ . ولكن في الارض قوىً تفوق مقدرة الانسان ولا تخضع لهُ وهي الزلازل والبراكين والزوابع والعواصف واعظمها هولاً واشدها فتكاً القوى البركانية التي تقذف الحمم وذَوْب المعادن من جوف الارض وتصبها على وجهها فلا تبقي ولا تذر

في هذه الجزيرة بركان قديم اسمهُ بيلي علوهُ ٤٤٢٩ قدماً تطمئن النفس لرؤيتهِ وترتاح

العين بمشاهدة ما يحيط بهِ من الحراج وما يكلل هامتهُ من السحب بنيت مدينة سن بير عند سفحهِ ويليها جزائر كثيرة منتظمة في شكل هلال. والظاهر ان الحوض الذي تحيط بهِ لم يصل الى حدّهِ من الخسوف فزاد خسوفًا في هذه الاثناء وضغط على ما تحتهُ ممَّا في جوف الارض من المواد الحامية فحاولت النفوذ من اقرب منفس اليها والجبال النارية منافس الارض فخرجت من جبل يلي هذا ومن جبل سوفريَر في جزيرة سنت فنسنت

وجزيرة سنت فنسنت للانكليز وعدد سكانها نحو ٤٥ الف نفس اكثرهم من السود عاصمتها كنستون فيها نحو خمسة آلاف نفس و يزرع في الجزيرة قصب السكر والكاكاو والطيوب والاروروط والحبوب المختلفة وحراجها كثيرة الاشجار وفيها بركان سوفريَر ارتفاعهُ اربعة آلاف قدم وهي معرَّضة لنوازل البراكين والزوابع والزلازل حتى بات اهلها افقر رعايا الانكليز حالاً وقد ثارت عليها زوبعة سنة ١٨٩٨ فدمرتها تدميرًا وظل المحسنون يجمعون لها الصدقات الى عهد قريب

اما الحوادث الطبيعيَّة المنذرة بهذا الثوران وهذا الدمار فكما يأْتي

في التاسع عشر من ابريل حدثت زلزلة في تلك الجهات تدل على حدوث اضطراب في طبقات الارض التي تحتها

في ٢٣ ابريل ابتدأ ظهور الدخان من جبل يلي

في ٣ مايو ظهرت الحمم في كاسهِ وصارت تنير ليلاً

في ٤ مايو قذف الرماد وغطَّى بهِ البلاد المجاورة

في ٥ مايو جرت منهُ الحمم ممزوجة بالطين ومرَّت في طريقها على معمل سكَّر فاكتنفتهُ وقتلت من فيهِ وهم ٢٣ نفساً. ولما وصلت الى البحر انحسر ماؤُهُ من وجهها وارتدَّ مسافة مئة متر ثم عاد موجة عظيمة جدًّا

في ٦ مايو نشر مأْمور الحكومة الفرنسوية نشرة يقول فيها ان لا خوف من ثوران البركان لكي تطمئن النفوس ولا يهرع السكان الى المهاجرة دفعةً واحدة فاخطأَ في ذلك خطأً لم يكن يعلم مقدار عاقبتهِ فقضى هو وعائلتهُ مع من قضى من اهل المدينة

في ٨ مايو الساعة ٨ صباحاً امطر هذا البركان على سن بير والسفن التي في مرفإِها نارًا وحمماً وحجارة ظلَّت تهطل عليها ربع ساعة فطمرتها وحرقتها واماتت كل من فيها وحرقت السفن التي في مرفإِها ولم ينجُ منها الاَّ سفينة واحدة كما سيجيءُ وبلغت الحجارة المقذوفة منهُ مدينة فوردو فرانس وهي على ١٢ ميلاً من سن بير وكانت بحجم الجوز

وخمد الثوران في العاشر من الشهر وبعثت شركة روتر من جزيرة سنتا لوسيا (وهي بين

جزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت) تقول

ابتدأ ثوران البركان في ٥ مايو فخرج منهُ نهر من الحمم المشتعلة وجرى في مجرى غدير جاف الى ان بلغ البحر مسافة خمسة اميال في ثلاث دقائق فحُسر ماؤهُ من امامها ٣٠٠ قدم ثم ارتد بموجة عظيمة غمرت الشاطئ ولكنها لم تضرَّ كثيراً وفي اليوم التالي انقطعت المواصلات التلغرافية بين مرتنيك وسنت فنسنت . وفي الثامن من الشهر وصلت الباخرة رودام الى سنتا لوسيا وهي مغطاة بالرماد وحبالها مقطعة وشراعها ممزق ومحروق وقال قبطانها انهُ وصل سن بير الساعة الثامنة وكان الصباح صافياً بعد زوبعة ثارت في الليل وجاءهُ وكيل الباخرة في قارب ليكلمهُ فالتفت واذا سحابة كبيرة من الدخان والنار تسرع نحو المدينة والمرفإِ وللحال اكتنفت المدينة بغلالة من النار وجعلت النيران تنصب على السفن الراسية في المرفإِ فوثب الوكيل الى الباخرة وكان البحار لا يزال في آلتها فقطع القبطان مرساتها وادار آلتها هارباً بها وكان مطر النيران قد بلغها وحرق اكثر بحارتها فبقوا على ظهرها مع الحمم (وكان عددهم اربعين فسلم منهم اثنا عشر) وظلَّت الحمم تنهال على الباخرة وهي هاربة مسافة ستة اميال . واصاب القبطان حروق كثيرة ولكنهُ بقي حيًّا وكذلك الوكيل حرق حروقاً شديدة وهو الشخص الوحيد الذي نجا من اهل المدينة بعد انصباب النيران عليها (ونجا رجل من المجرمين وُجد في السجن حيًّا). واحترقت السفن التي كانت في مرفإِها وغرقت

وارسلت من فور ده فرانس في العاشر من الشهر تقول انهُ في الساعة الثامنة من اليوم الثامن اظلم الجو وحسر ماء البحر من ستين الى تسعين قدماً وصارت الحجارة تنهال كالمطر وهي بحجم الجوز ودامت كذلك ربع ساعة

و يظهر من الاخبار التي وردت بعد ذلك انهُ قضى بهذه النازلة ثلاثون الفاً على الاقل وهم سكان المدينة والضواحي وبحارة السفن الراسية في مرفإِها ولم ينجُ من هذه السفن الاَّ الباخرة الانكليزية رودام المتقدم ذكرها ولم تفلت من مخالب الموت الاَّ بعد ان احترق ٢٨ من بحارتها وحرق ربانها حروقاً اليمة. وهرع الطراد سوشه الفرنسوي الى محل النازلة فدنا منها الساعة ٢ بعد الظهر وعاد حالاً باخبار الشؤم بعد ان التقط ثلاثين نفساً من مكان قريب منها مات منهم ١٦ بعد ذلك من حروقهم اما المدينة فلم يمكنهُ دخولها ثم عاد فانقذ كثيرين من اهالي البلاد المجاورة ولا سيما بلدة برشر وهي على خمسة اميال من سن بير وعاونتهُ ثلاث سفن أُخرى فانقذت كلها اربعة آلاف نفس . ولما انقطع انهيال الحمم على سن بير ودخلها اهل النجدة ليروا ما حلَّ بها وجدوا ان القضاء باغت سكانها فقتلهم حالاً واكثرهم مكبٌّ على وجههِ او واضع يدهُ على فيهِ

خوف الاختناق او جالس في مكانهِ كانهُ اصيب بصاعقة. وقد احترقت المدينة كلها وهدمت مبانيها او تمزقت تمزقاً حتى الاشجار قلعت من الارض وانقلبت اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ولم يسلم الاَّ ساعة المدينة فانها وقفت على الساعة ٧ ١/٢ وبقيت كذلك لتدل على زمن ابتداء النازلة بالتدقيق وحرق بيت التلغراف ورميت بعض آلاتهِ مسافة مئة متر

وكان في اقبية البنك ما قيمتهُ مليونا فرنك من النقود فبقيت سالمة لم يمسها ضرر كأنَّ المال ابقى من الارواح. ولم يوجد من الجثث السليمة التي يمكن دفنها الاَّ الفا جثة

وجاءنا روتر في ٢٢ مايو عند كتابة هذه السطور بان بركان بيلي ثار ثوراناً جديداً فاق ثوران ٨ مايو في الشدَّة وقذف الصخور الكبيرة على خرائب سان بيَر فعفى آثارها والرعب مستحوذ على جزيرة سنت فنسنت ايضاً لان بركانها عاد الى الثوران

وحالة جزيرة سنت فنسنت ليست اصلح من حالة مرتنيك فان بركانها السوفرير ثار ايضاً حينما ابتدأ البركان بيلي بالثوران وبلغت الحجارة المقذوفة منهُ مدينة كنستون وهي على ١٢ ميلاً منهُ وانثغرت فيهِ ثلاث فوهات جديدة في السابع من الشهر جرى منها ستة انهر من الحمم وكأن جوف البركان كان يتمخَّض ويصعق صعقان تصمُّ الآذان ودام ذلك الى صباح الجمعة (في الثامن من مايو) وارتفعت منهُ سحابة كثيفة مشحونة بالمواد المعدنية الى علو ثمانية اميال فاظلم بها الجو حتى امسى النهار ليلاً حالكاً ولما وقعت الحجارة والحمم تكاثفت الابخرة وهطلت مطراً اسود وكانت البروق تومض من خلال السحب كحراب من نار فاحترقت المزارع وتغطت الارض بالحمم واحترق كل ما فيها من نبات اخضر ومات كل حي هناك وبلغ من قتل بها من الناس حينئذٍ نحو الفي نفس

والمظنون الآن ان السكان يهجرون هاتين الجزيرتين الى ان يخمد بركاناهما وينقطعا عن الثوران سنين كثيرة

ولا مثيل لنازلة سن بير الاَّ نازلة بمباي وهركولانيوم اللتين دمَّرهما بركان يزوف سنة ٧٩ للميلاد بعد ان كان قد خمد منذ سنين كثيرة وزرع الناس جوانبهُ بالاشجار والكروم وبنوا تينك المدينتين عند سفحهِ. ومن البراكين التي ثارت حديثاً بعد ان خمدت سنين كثيرة بركان كراكاتوى بين جاوى وصومترا فانهُ ثار سنة ١٨٨٣ بعد ان خمد مئتي سنة ورفع ثلثي الجزيرة التي هو فيها من اصولها ومساحتها ١٣ ميلاً مربعاً ورمى بها في الجو فهاج البحر موجاً عظيماً غمر شاطىء جاوى وصومترا وخرب ثلثمئة قرية وقتل ستة وثلاثين الف نفس وسمع صوت هذا الانفجار على ثلاثة آلاف ميل وانتشرت المواد المقذوفة من هذا البركان في الجو ودارت حول

الارض كلها وبقيت ثلاث سنوات تمتص نور الشمس فتزيد حمرتهُ عند الغروب .

اما بركان يلي فلم يمضِ عليهِ خامدًا الاَّ خمسون سنة لانهُ ثار آخر مرة سنة ١٨٥١ وقد انذر هذه النوبة بالثوران بما سبق ثورانهُ من الزلازل ولكنَّ الزلازل كثيرة في جزيرة مرتنيك وما يليها من الجزائر فقد حدث فيها منذ ست وعشرين سنة الى الآن ١٤٨ هزة ولذلك الف الناس زلازلها ولم يعودوا يعبأُون بها الى ان فاجأَهم القدر المحتوم

اما هول المصاب في مرتنيك وسنت فنسنت وتأْثيرهُ في النفوس فمما لا يعبر عنهُ القلم وقد بادر الملوك والعظماءُ والفضلاءُ في كل مكان الى مساعدة الاحياء بالمال فتكرَّم جلالة السلطان بعشرين الف فرنك وملك انكلترا بخمسة وعشرين الف فرنك وكذلك امبراطور المانيا ورئيس جمهورية فرنسا وفاقت الحكومة الاميركية غيرها في الكرم

النيران في القطر المصري

كان الشهر الماضي شهر شؤْم وبؤْس على اماكن كثيرة في هذا القطر كما كان على جزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت ولو لم يذهب فيهِ من النفوس عشر معشار ما ذهب في تينك الجزيرتين ولا تلف من الاموال والمقتنيات ما يقابل بما تلف هناك . الاَّ ان المصيبة كانت فادحة حركت ارق عواطف الشفقة والحنان فتأَلفت اللجان الخيرية لاغاثة المنكوبين ومساعدة المصابين ولا تزال تتنافس في هذا العمل المبرور . وقد اشبعت الجرائد اليومية المقال في وصف هذه النيران فنجتزي بما يذكر عنها في باب التاريخ فنقول

ميت غمر — شبت فيها النار في ١ مايو فاحرقت ٥٤٨ منزلاً و ٩٧ شادرًا ودكانًا وحانةً وقهوة واماتت ٦١ نفسًا وبلغ عدد المصابين بحروق وجروح اكثر من ١٠٠ وقدرت الخسارة بنحو ٢٥٠ الف جنيه

العزيزية — شبَّت فيها النار بعد ظهر ١ مايو فدمرت ٣٠ منزلاً تدميرًا واحرقت اثاث نحو ١٧٠ منزلاً وبلغ عدد الذين توفوا بها ١٦ نفسًا والجرحى ٦

اشليم بمركز قويسنا — شبَّت فيها النار في ١٠ منهُ فاماتت ١١ نفسًا واصابت ٢٠ نفسًا بحروق ودمرت ١٣٠ بيتًا

بطينة ومحلة زيات — شبَّت النار في بطينة في ١٠ منهُ والتهمت نحو ثلثيها . وفي محلة زياد دمرت عشرة بيوت

نكلا العنب — شبّت فيها النار في ١٠ منهُ ايضاً فاماتت ستة من الكهول والاطفال

عنابر الدائرة السنية في مزلقان خزام في لقصر — شبت فيها النار ليل ٨ من الشهر وبلغت قيمة ما حرقتهُ ٥٠ الف جنيه

ناحية سروه — في ١٤ منهُ دمرت النار كل منازلها واخرج ٧ جثث من تحت الردم

القنايات — في ١٤ منهُ احرقت النار ٢٥٠ مسكناً ولم يمت احد

ظهر شرب (مينا القمح) — في ١٢ منهُ احرقت النار ١١٧ منزلاً وفي شبرا العنب دمرت ٣٥ منزلاً

منية شنتنا عياش — في ١٢ منهُ احرقت ٧٠ بيتاً

السنبلاوين — في ١٢ منهُ احرقت ٤٨٤ منزلاً وحانوتاً وقدرت الخسائر بستين الف جنيه

سرس الليانة (بمركز منوف) — في ١٢ منهُ دمرت النار ٢٤٧ منزلاً واماتت ١٢ نفساً

عنابر بولاق — في ١١ منهُ احرقت ٣٥ مركبة للركاب وقسماً من الورشة وقدرت الخسارة بنحو سبعين الف جنيه

وكان شهر مايو شديد الحر في بعض ايامهِ كثير العواصف فساعد النيران على الشبوب والانتشار ولا يعلم سبب آخر لتعدد النيران الا ان يكون الاهالي قد اخذوا يوقدون المصابيح ليلاً اكثر من ذي قبل ومصابيحهم من البترول ولا زجاج يمنع اتصال لهبها بما حولهُ. او يكون قد شاع في الارياف نوع من الثقاب (عيدان الكبريت) سريع الالتهاب يشتعل لاقل احتكاك والفلاَّح يضع عيدان الثقاب اينما اتفق وقد قال لنا البعض من اصحاب وابورات الحلج انهم قلَّما حلجوا قطناً ولم يروا فيهِ عيدان الثقاب. فخليق بالحكومة المصرية والحالة هذه ان تبحث عن سبب كثرة النيران وعمَّا اشرنا اليهِ وهو استعمال المصابيح من غير مداخن واستعمال عيدان من الثقاب سريعة الاشتعال فان كان ذلك صحيحاً بذلت جهدها في تلافيهِ حفظاً للارواح والاموال

والشكوى كثيرة من وضع الفلاحين حطبهم على سطوح بيوتهم واكثرهُ من عيدان القطن والذرة وما اشبهُ ممَّا يسهل اشتعالهُ ولا سيما اذا اشتدَّ الحرُّ عليهِ. والظاهر ان الحكومة منعت وضع الحطب على السطوح بقرارات ادارية ولكن صعب عليها تنفيذها. ويظهر لنا ان ترك الحطب في الغيط لا يخلو من الضرر لانهُ يكون ملجأً للحشرات فتختبئُ فيهِ وتضرُّ بالزراعة. وسيبقى الخطر من اشتعال النار الى ان يتعلَّم الناس اتقاءها

رجال المال والاعمال

توماس اديصُن

لم نذكر من رجال المال والاعمال مَن يرد اسمهُ في المجلات العلمية اكثر مما يرد اسم اديصُن ولذلك فقرَّاء المقتطف يعرفون كثيراً من امر هذا الرجل كمخترع كبير وقد لا يعرفون انهُ من الرجال الذين اكتسبوا الاموال الطائلة بما بنوهُ على اسس العلم من الاعمال

ولد اديصُن سنة ١٨٤٧ من والديْن فقيرين وكان نشيطاً من حداثتهِ ولكنهُ لم يكن مغرماً بالدرس ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة استخدمهُ مدير احدى الجرائد لبيع جريدتهِ في سكة حديدية . ولا يزال يتذكر تلك الايام ويباهي بها ويخبر اصحاب الجرائد عمَّا لاقاهُ فيها . وهو كثير الابتذال من هذا القبيل ولذلك ترى الاحاديث المنقولة عنهُ في الجرائد كثيرة جدًّا يستغرب قارئها كيف يجد هذا الرجل فرصة لمحادثة الناس وهو دائم الاشتغال باكبر المكتشفات والمخترعات . ولا يكتفي بذلك بل هو كثير المزاح زارهُ احد مكاتبي الجرائد حديثاً وحيَّاهُ وشكر الله على جودة صحتهِ فقال لهُ اديصن نعم ان صحتي جيدة وهي اجود مما تظن لان عمري الآن ٩٩٨ سنة وسابلغ الفاً وخمس مئة سنة من العمر قبل اواسط الصيف المقبل من فضل ارباب الجرائد وما نسبوهُ اليَّ من غرائب الاعمال التي لا يعملها المرء الاَّ في المئات الكثيرة من السنين

ولكنك اذا حدثتهُ عن حداثتهِ ترك الهزل واخذ يقصُّ عليك ما كان يلاقيهِ وهو يبيع الجرائد والكتب والفول السوداني وانواع الملبَّس ويسير في القطار من مكان الى آخر لهذا الغرض . ولم يكن يخطر ببالهِ حينئذٍ ولا ببال احد من الناس انهُ يكون مخترعاً في مستقبل

الايام . قال " ان بيع الفول السوداني كان فيهِ من المهارة ما ليس في غيرهِ فاننا كنا نحمل سلّة كبيرة فيها من هذا الفول وكيلةً صغيرة نكيل بها للمشتري والمهارة في وضعهِ في الكيلة فاننا كنا نضرب الكيلة في الفول ضربًا فتظهر مملوءة بهِ والحال انهُ يكون نصفها فقط وتحتهُ فارغ . وينشر المشتري منديلهُ فنفرغ لهُ الكيلة بالاعتناء التام كانها مملوءة مهزوزة . ولا انسى اني كنت مرة احاول افراغ الكيلة فهبط الفول فيها وظهر انهُ لا يملأ نصفها فعدت بالخيبة والخجل ولكنني انتقلت الى قطار آخر وبعت كل ما معي حتى السلّة التي كان الفول فيها . ودخلت مرةً أُخرى القطار وكان في مركبة منهُ اثنان تظهر عليهما هيئة الرفاهة والنعيم وكان في سلتي فول سوداني وتفاح وتين وما اشبه فعرضتها عليهما فقالا لا نريد شيئًا من ذلك فقلت لهما اتريدان كتبًا وجرائد لاجلب لكما فقالا لا بل نريد ان نقي غيرنا ايضًا من سوء الهضم الجسدي والعقلي وتناولا السلّة من يدي وطرحا ما فيها من شباك القطار فوقفت مدهوشًا واخذت ازعق باعلى صوتي وهرع مَن في المركبة لمشاهدتي والرجلان يضحكان ويقولان في حنجرتهِ مرض الى ان وصلنا الى المحطة فانزلاني من القطار واعطياني ريالاً حتى سكت"

ولما نشبت الحرب الاهلية في اميركا وراجت الجرائد اقنع محرري جريدة ان يطبعوا لهُ الف نسخة زيادة عمَّا يطبعون عادةً لكي يبيعها في قطرات سكة الحديد ثم انشأ جريدة صغيرة لبيعها للركاب واتبعها بجريدة هزليَّة وجعل ينتقد هذا ويتهكَّم على ذاك والناس يحتملون هزلهُ بالصبر مرةً والضجر اخرى الى ان اغتاظ واحد منهُ ورماهُ في النهر حتى كاد يغرقهُ ومن ثم توالت عليهِ النوائب واخيرًا قلب زجاجة فيها فصفور وكاد يحرق القطار فحُجز على مطبعتهِ وكل مايمتلك وامسى لا يملك شيئًا

وحدث بعد ذلك انهُ رأى ولدًا يكاد يدوسهُ القطار فاسرع اليهِ وانقذهُ وكان ابو هذا الولد من مستخدمي التلغراف في سكة الحديد فاراد ان يكافئهُ في صنيعهِ فعلَّمهُ كيفية استعمال آلات التلغراف فتعلَّم ذلك حالاً ودرس كل ما وصلت اليهِ يدهُ في علم الكهربائية والتلغراف وخدم في مصلحة التلغراف المتعلقة بسكة الحديد لكنهُ لم يحسن عملاً فكاد يصدم قطرًا بقطر واستدعاهُ المدير وجعل يوبخهُ وقال لهُ لا بدَّ من ارسالك الى السجن وبينما هو يكلمهُ مغتاظًا دخل اثنان من الكبراء فغيَّر صوتهُ ولم يعد يلتفت اليهِ فخرج وهرب ثم مضى الى بوستن ماشيًا فوصلها في اربعة ايام . ولما صار عمرهُ احدى وعشرين سنة اتى مدينة نيويورك وهو لا يملك شيئًا

وكان يمشي ذات يوم في شوارع نيويورك فرأى الناس مجتمعين في مكتب التلغراف وحولهُ فسأل عن سبب اجتماعهم وعلم ان آلة التلغراف وقفت عن العمل فدخل وقال انهُ يصلحها

فاستغرب الحضور امرهُ لكنهُ اثبت قولهُ بالامتحان واصلح الآلة في بضع دقائق واثبت مهارتهُ في هذا الفن فجُعل كهربائياً لمكاتب التلغراف وقطع لهُ راتب ستين جنيهاً في الشهر فذهل عن نفسهِ لانهُ لم يكن ينتظر ان ينال مثل هذا الراتب في حياتهِ وكان شغلهُ قليلاً لا يشغل كل وقتهِ فجعل يبحث ويجرب الى ان استنبط آلة لطبع الاشارات التلغرافية ثم استنبط استنباطات أُخرى اشترتها كلها منهُ شركة التلغراف بثمانية آلاف جنيه . وقد قال في صدد ذلك ما ترجمتهُ

لقد بلغ من ذهولي حينما ذكر لي هذا المبلغ اني لم اصدق اذني وخطر ببالي ان في الامر حيلة عليَّ ثم امضيت شروط البيع وأُعطيت تحويلاً بالقيمة على بنك فهرعت اليهِ ولم اكن دخلت البنك من قبل ولما قدمت الحوالة الى الصراف قطَّب جبينهُ وتكلَّم كلاماً لم افهمهُ لاني كدت اكون اطرش فاعاد الكلام ولما لم افهم منهُ شيئاً قلت في نفسي اني مخدوع لا محالة ولو اتاني احد واشترى الحوالة مني حينئذٍ بعشرة جنيهات لبعتهُ اياها . ودرت من هناك وسألت احد الكتبة ما يقول هذا الصراف فصرخ في اذني قائلاً انهُ طلب منك ان تثبت لهُ شخصيتك فتعال معي ثم ادخلني وقال انهُ يعرفني ولما قبضت المبلغ ذهبت من ساعتي واشتريت بهِ كل الادوات اللازمة للبحث والتنقيب في آلات الكهربائية

ومن ثمَّ اخذ يجري سريعاً في ميدان الاختراع والاستنباط وجعلت الثروة تنهال عليهِ جزاء مخترعاتهِ. وبنى داراً كبيرة للامتحان انفق عليها الاموال الطائلة لان المال يثمر المال اذا اقترن بالحزم والتدبير. اما حزمهُ واجتهادهُ فمما يفوق الوصف. قيل انهُ لما كان يجرب التجارب لعمل القنديل الكهربائي من خيوط الفحم بقي في معملهِ اربعة ايام بلياليها لا ينام ولا يستريح قائلاً إما النجاح وإما الموت لكنهُ نجح وصنع القنديل الكهربائي الذي نكتب في ضوئهِ هذه السطور الآن. ولا تسَلْ عن الشهرة التي حازها بهذا الاستنباط والاموال الطائلة التي ربحها منهُ

ثم استنبط الفونوغراف اتفاقاً فانهُ كان يتكلم بالتلفون فشعر باهتزاز القلم الدقيق المتصل بهِ فادنى منهُ ورقة وهو يلفظ الكلمة "هلو" فاثر فيها واجرى الورقة امام القلم فسمع كلمة "هلو" منهُ. ثم صنع الفونوغراف واتقنهُ كما هو معلوم ولكن بعد تعب يقصر القلم عن وصفهِ

قال بعضهم وقد زار اديصن حديثاً انهُ اذا كان في بيتهِ فهو مجمع اللطف والبشاشة واذا كان في المعمل غاص في الاعمال حتى صار جزءا منها . زرتهُ في معملهِ فأُدخلت اولاً الى غرفة فسيحة فيها كتبهُ وهي من اوسع المكاتب العلمية في المسكونة فيها خزائن الكتب وبينها كراسي ومساند حتى يسهل على المطالع الجلوس حيثما شاء وفوق الكتب صور مشاهير رجال العلم والشهادات التي نالها من المعارض المختلفة وصور كثير من الآلات

وبينما كنت انظر في بعض الرسوم فُتح الباب ودخل اديصن وهو ربعة عريض المنكبين شائب الشعر محلوق الوجه يظهر ان عمرهُ من خمسين الى ستين سنة (عمرهُ ٥٤ سنة) فتقدم اليَّ مسرعاً وصافحني وجلس على كرسي امامي وحينما كنت اكلمهُ كان يضع يدهُ وراء اذنهِ ليجمع تموجات الصوت بها وقال لي اني اطرش فانهُ لما كان عمري ١٢ سنة رفعني رجل باذنيَّ فمزّق طبلتيهما ولكن الطرَش لم يضرني ولو امكنني ان اشفى منهُ ما اخترت الشفاء لانهُ ساعدني على حصر افكاري في ما افكر بهِ فمنهُ نفع اكيد . ثم اني لا اخسر كثيراً بعدم سمعي ما يقولهُ اكثر الناس واني اسمع جيداً في معامل الآلات وحيثما تكثر الضوضاء وقد صارت الضوضاء من لوازم العمران في هذه الايام ولذلك فانا في الغالب غير اطرش

وهاك بعض ما اجابني بهِ عمَّا سألتهُ عنهُ

اني اشرعُ في العمل قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فاطالع اولاً جرائد الصباح لاقف على الاخبار الى ان يحين وقت الفطور فافطر مع اولادي وامضي الى المعمل فاصلهُ الساعة الثامنة ويكون لديَّ غالباً من اربعين الى سبعين من الاشغال التي لا بدَّ لي من ان اهتمَّ بها . وفي كل ليلة اكتب قائمة الاشغال التي يلزمني الاهتمام بها في اليوم التالي ممَّا يتعلق بمخترعاتي المختلفة . وعندي الآن اكثر من مئة وخمسين عاملاً في معملي ولديَّ في كل يوم اربعون او خمسون تجربة من التجارب العلمية العملية في الكيمياء والكهربائية والنور والحرارة وعلم الآلات والمعادن والنور والقوة ولا بدَّ من اجرائها فاوزعها على العمَّال عندي في ساعتين من الزمان واشتغل باصبعها او بما لهُ عندي الشأن الاكبر منها

فسألتهُ ما هي اصعب مسألة اشتغلت بها . فقال مسألة النور الكهربائي فانني لما شرعت في حلها لم يكن يُعرف شيءٌ عن النور الكهربائي ممَّا تلزم معرفتهُ . ولما حاولت استعمال هذا النور رأيت امامي مصاعب كثيرة يجب التغلُّب عليها اشدها جعلهُ رخيصاً من باب تجاري . فان تصوُّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من القوة الى الفعل علمياً قد يكون سهلاً ايضاً ولكن الصعوبة في اخراجهِ من القوة الى الفعل عملياً تجارياً حتى يشيع استعمالهُ ويربح منهُ عاملهُ . والغرض الذي ارمي اليهِ ان اجعل مخترعاتي رابحةً من باب تجاري

وسألتهُ مَن تراهُ احق العلماء بالاعجاب . فاجاب فاراداي فانهُ اكبر العلماء المجرّبين وانا نفسي صانع مجرّب وقد قضيت عمري في تطبيق العلم على العمل والغالب ان العلماء يقتصرون على العلم المجرّد . وممَّن اعجب بهم ايضاً لورد كلفن فانهُ عالم وعامل معاً

وسألتهُ اي الامور يسلّيك اكثر من غيرهِ فتبسَّم وقال اني اتسلَّى بمطالعة الكتب الكيماوية

والذُّ شيءٍ عندي التجارب الكيماوية

فسأَلتهُ عمَّا اذا كان يسرُّ بالذهاب الى مشاهد التمثيل . فقال نعم اني احب التمثيل المتقَن وتعجبني ساره برنارد وهي عندي امهر الممثلين والممثلات فاني افهم كل ما تقول ولو لم اسمع كلمة منهُ . فسأَلتهُ عمَّا اذا كان يحب الصيد . فقال اني لا اعبأُ بهِ ولكنني احبُّ ان اضرب في الحراج وافضل ركوب الاتوموبيل على ركوب الخيل

وأُتي حينئذٍ بغدائهِ لانهُ يتغدَّى في المعمل وهو قليل من الخبز واللحم وفنجان من الشاي فاكلهُ في خمس دقائق . ثم قام وطاف في المعمل وتفقَّد الاعمال الجارية فيهِ عملاً عملاً وكانهُ كان يرى كل ما فيهِ في وقت واحد

والمعمل ثلاث طبقات في السفلى منها المكتبة المشار اليها آنفاً والآلات الثقيلة كالمطارق والمخارط وفي الثانية تمتحن الادوات التي تصنع في المعمل وهناك غرف للفونوغراف وغرف للآلات الموسيقية وغرف للبطريات وغرف للآلات الكهربائية . وفي الثالثة اماكن الرسم وبعض التجارب العلمية . والتجارب الكيماوية التي منها خطر مكان منفصل عن المعمل تجرَّب فيهِ

وفي المعمل آلة ترشُّ الماء من نفسها لاطفاء النار اذا اشتعلت فيهِ . وقد قال لي ان هذه الآلة وقت معملهُ من الاحتراق مراراً كثيرة . وكان يقف امام كل فرع من فروع الاعمال الجارية فيهِ يصلح آلة او يشير بامر وكانهُ لا يملُّ ولا يتعب ولا يفوتهُ شيءٌ مما يعمل في معملهِ

وقُبيل الساعة السادسة جاءت زوجتهُ راكبة اوتوموبيلاً وقالت لهُ حان الوقت للذهاب الى البيت فتبسَّم وقال لي لولاها لبقيت في المعمل نهاراً وليلاً ولكنها تضطرُّني الى الخروج منهُ كل يوم الساعة السادسة غير اني لا اترك الشغل في البيت لانني اقرأُ جرائد المساء واكتب ما يجب عملهُ في اليوم التالي وابقى كذلك الى نصف الليل . ثم ركب المركبة معها وحيَّاني مودعاً " انتهى

هذه صورة مجملة لرجل من اكبر المخترعين في هذا العصر يظهر منها باجلى بيان ان بعض المخترعات يأْتي اتفاقاً ولكن اكثرها لا يأْتي الاَّ بعد البحث الدقيق والتعب الكثير وكلها لا تصير عمليَّة يربح منها عاملها الاَّ بعد اشد التعب والمشقة . ولا بدَّ من التأَهُّب لها بالدرس الكثير والوقوف على المبادئ العلمية التي تبنى عليها . وكل ذلك على كثرتهِ وصعوبتهِ ميسور حتى للولد الذي يبيع الجرائد والفول السوداني في مركبات سكك الحديد

ابتدأَت حياة اديصن العمليَّة بتعلُّمهِ استعمال آلات التلغراف ولو كان خاملاً مثل اكثر الذين يكتفون باللقمة لبقي عاملاً في بيت التلغراف الى الآن يأْخذ ريالاً او ريالين في اليوم

لكنهُ لم يكن كذلك بل قرأ كل ما وصلت اليهِ يدهُ مما يبحث عن الكهربائية والتلغراف حتى فهم اسرار صناعتهِ تمام الفهم فلما عرضت لهُ آلة مختلَّة اصلحها حالاً واعرب عن علم وفهم في هذا الموضوع وعن مهارة في تركيب الآلات وتفكيكها. والباحثون عن عامل بارع مثلهُ ليستخدموهُ اكثر من العمَّال البارعين الباحثين عمن يستخدمهم ولذلك رحَّب بهِ اصحاب شركة التلغراف واستخدموهُ باجرة طائلة لم يحلم بها لا برًّا بهِ ولا شفقةً عليهِ بل طلباً للربح من علمهِ ومهارتهِ . ولو كان مثل اكثر العمال الذين يكتفون بما يملأ بطونهم لا همَّة لهُ ولا مطمع لاكتفى بما نال والقى عصا البحث والتنقيب لكنهُ لم يكن كذلك فاستخدم الراتب الذي نالهُ لابتياع الكتب والادوات اللازمة لزيادة البحث والاستنباط ولما باع مستنبطاتهِ بثمانية آلاف جنيه وقبض المال بعد ان كاد ييأس منهُ لوكان مثل اكثر الناس لتزوَّج واقتنى مركبة ومدَّ رجليهِ على بساط الراحة لكنهُ لم يفعل شيئاً من ذلك بل انشأ بهذه النقود كلها معملاً صناعيًّا كيماويًّا اي انهُ زرعها في مزرعة العلم والعمل كما يزرع البذار (التقاوي) في الارض لكي تثمر الخيرات الكثيرة او استعملها رأس مال واتجر بها فربح الالوف والملايين واكتسب ثروةً طائلة وشهرة واسعة وافاد نوع الانسان فوائد لا تقدَّر. بائع الجرائد والفول السوداني يشار اليهِ الآن بالبنان ويذكر اسمهُ فوق اسماء الوزراء والملوك . ولا نعلم مقدار ثروتهِ ولكن يقال ان ثمن قصرهِ الذي يسكنهُ اكثر من خمسين الف جنيه ولهُ قصر آخر يمضي اليهِ وقت اشتداد البرد . فليكن ما ذكرناهُ عنهُ مثالاً لشباننا الذين يحسبون انهم اهل للنجاح وهم يكتفون بما يملأ بطونهم ويستر عريهم

وقد جاءنا كثيرون من اخواننا الشرقيين مرارًا وهم يظنون انهم اكتشفوا اكتشافات كبيرة النفع او اخترعوا اشياء لم يسبقهم غيرهم اليها وكنا ننظر في ما يحسبون انهم اكتشفوهُ او اخترعوهُ فلا نجد فيهِ ما لهُ اصل علمي صحيح الاَّ نادرًا . وكنا نريهم مواقع الضعف او نشير عليهم بدرس الاصول العلميَّة التي يبنى عليها ما يطلبونهُ فلا نجد منهم في الغالب الاَّ الملامة لاننا لم نشدد عزائمهم ونشهد لهم بصحة شيء نعتقد خطأهُ . فعسى ان يروا في سيرة اديصن وسير غيرهِ من المخترعين ما يحقق لهم النصيحة التي ننصح لهم بها دواماً وهي ان يدرسوا مبادئ العلوم التي يبنى عليها ما يظنون انهم اخترعوهُ او اكتشفوهُ والاَّ فنجاحهم بعيد ان لم يكن مستحيلاً

وكان القول الشائع ان طالب علم وطالب مال لا يجتمعان لكن هذا القول لم يعد يقبل على اطلاقهِ بل صار الناس يطلبون العلم بالمال والمال بالعلم وقد نجحوا في ذلك نجاحاً لا شبهة فيهِ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الماسونية في فرنسا

اعتراض

حضرة العالمين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف

اثبتما في مقتطف مايو الماضي خلاصة رسالة في هذا الموضوع نشرتها مجلة القرن التاسع عشر وقد عثرت في الجزء التاريخي من ذلك الملخص على مزاعم ليست من الصحة في شيءٍ فرأيت أن احول الانظار اليها وافندها مستنداً الى ما جاء في كتب الثقات من مؤرخي الماسونية

قال كاتب الرسالة "ان نبوليون الثالث اضطرَّ الماسون الى قبول رئيس اختارهُ لهم وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأنها تحت سيطرتهم وانهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً اعظم للشرق الاعظم" اما الاول فصحيح واما الثاني والثالث فخطأٌ في التحقيق والنقل وتحرير الخبر ان البرنس مورات (ابن مورات مرشال فرنسا وملك نابولي) انتخب رئيساً اعظم ظنًّا من الماسون ان انتخابهُ يعود بالفائدة على الماسونية فسلك سلوكاً مغايراً لسنن العشيرة وانحطت الماسونية ومحافلها في عهدهِ حتى ضاق الماسون ذرعاً بهِ فلما اوشك زمان رئاستهِ ان ينتهي ودنا ميعاد الانتخاب لمسند الرئاسة العظمى رشحوا البرنس جيروم نبوليون ورضي هذا بالترشيح فقامت قيامة مورات واتباعهُ وصاروا ينشرون الدكريتات بحل المحافل وشجب اعضائها وكثر القال والقيل فاصدر الامبراطور امراً عالياً عيَّن فيهِ المرشال مجنان (١) لا مكماهون رئيساً اعظم وحدث في اثناء المشاحنات التي دارت بين مورات واضدادهِ ان هذا اصدر اوامر بشجب كثيرين من زعماء العشيرة فخنق الماسون من هذا الامر

(١) (المقتطف) الاصل مجنان وليس مكماهون وقد وقع الخطأ في الطبع العربي لا في الاصل الانكليزي

واخذوا يوالون الاجتماعات في دار الشرق الاعظم لمقاومة اوامرهِ وفي احد هذه الاجتماعات دخل عليهم احد انصار مورات وطلب اليهم ان يحلوا الجلسة عملاً بامر الرئيس الاعظم وقال اذا لم تفعلوا استعنت بالبوليس ثم خرج وعاد بجماعة من البوليس فلما درى الماسون بقدومهم خرجوا الى مدخل الدار ونصحوا للبوليس ان يرتدّ عن المكان وبعد مجادلات ومحاورات عاد البوليس من حيث اتى وعاد الماسون الى الدار وكان ذلك في مايو سنة ١٨٦١

وفي اكتوبر من السنة عينها اصدر ناظر البوليس امراً يمنع فيهِ مجالس الاستاذ الاعظم والماسون عامة من الاجتماع لانتخاب رئيس اعظم بحجة ان هذا المنع ضروري لحفظ الامن ويطلب تأجيل الاجتماع الى شهر مايو من السنة التي تليها [٢] وكان ذلك جميعًا قبل تعيين مجنان وفيما سوى هاتين الحادثتين فلم يتعرض البوليس لشؤون الماسونية قط في عهد نابليون الثالث

ثم ان مجنان نال درجات الماسونية في يوم واحد لا في اسبوع من الزمان كما قال الكاتب وكانت ثلاثًا وثلاثين لا ثلاثًا [٣] فقط كما قال الكاتب والذي رقاهُ اليها احد انصار مورات وهو الرجل الذي استنصر البوليس لحلّ جلسة الشرق الاعظم كما تقدم وكان مجنان يجهل الرسوم الماسونية فلما درى بالخطإِ الذي حدث امر بشجب الفاعل ومحاكمتهِ وحطهِ عن وظيفتهِ ودرجتهِ [٤]

اما قول الكاتب ان الانكليز ادخلوا الماسونية الى فرنسا وتعيينهُ زمان ادخالها اليها بقولهِ انهُ كان سنة ١٧٢١ فامر لم يتحقق بعد والكتّاب على خلاف في تعيين الزمان وهم منقسمون بين ١٧٢١ و ١٧٢٥ و ١٧٢٧ و ١٧٣٦ [٥] واكثرهم على ان دخولها كان في هذه السنة الاخيرة. ولعلّ الكاتب يستند الى رواية للند [٦] الفلكي الفرنساوي ولولا خشية التطويل لاضفت الى هذا الاعتراض ملخص تلك الرواية واتيت على الادلة التي تثبت فسادها

وانما اقول فيها ما قالهُ فندل المؤرخ الجرماني المشهور ان روايات للند وغيرها من هذا الباب اقاويل متضاربة خليل ثابت

أسيوط في ٢٤ مايو ١٩٠٢

---

(٢) فندل صفحة ٤٧١

(٣) (المقتطف) لم يذكر الكاتب عدد الدرجات ولكن المترجم حسب ان الشرق الاعظم يقصر على الدرجات الثلاث فقال انها ثلاث

(٤) جولد مجلد ٥ صفحة ١٨٨

(٥) جولد وفندل

(٦) Lalande مدير مرصد باريس وُلد سنة ١١٢٣ وتوفي سنة ١٨٠٧ وهو اول من كتب عن الماسونية في فرنسا على ما يظنّ وذلك في بضع صفحات من "Encyclopédie"

اختلاف الاديان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت في الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين من المقتطف انتقادكم على كتاب فيصل التفرقة للغزالي . ونحن نوافق حضرتكم على عدم استحسان نشر بعض فقرات من هذا الكتاب في هذا العصر الذي تراعى فيهِ حرمة الاديان كما تفضلتم وذلك مثل قولهِ "ان اليهودي والنصراني كافران وكذا البرهمي والدهري" وان كان ذلك نتيجة لازمة لكل دين من الاديان الثلاثة. لكننا نخالفكم في توجيهِ اللوم للمسلمين وحدهم فان النصارى ايضاً يصرّحون بتكفير المسلمين بل بتكفير بعضهم البعض في كتبهم الدينية التي تطبع وتنشر بين ظهرانينا ونكتفي هنا بذكر كتاب واحد منها (معتدل اللهجة لخلوّهِ من الشتائم واللعنات) وهو الكتاب المعنون بخلاصة اللاهوت الادبي المطبوع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٨٢ م فقد جاء في المجلد الثاني منهُ صحيفة ٩٧٨ تحت عنوان الدفنة الكنائسية ما نصهُ

س ١ من ينبغي حرمانهم الدفنة الكنائسية

ج ان الناموس العام يوجب حرمان الآتي ذكرهم

١ اي كافر كان سواء كان وثنيًّا او يهوديًّا او مسلماً

٢ الخالع الذي يغادر الايمان المسيحي . ويندرج في هذا الحكم كل شرير يكتب صفحاً يقرر بها الاثيسموس (مذهب جحود وجود الله) او الديسموس (مذهب الجاحدين الوحي مع انهم يقرون بوجود الله) او البنتيسموس (مذهب القائلين ان الله انما هو العالم بمعنى جنس كلي شامل كل الموجودات) او يفوه بكلام يدل على جحود الوحي المسيحي

٣ "الهرطوقي" المجاهر بضلالهِ وكذا من يجاهر بالميل الى هرطقة ويحامي عنها الخ

وختم ذلك بقولهِ تنبيه ينبغي عند تكريس المقبرة ان يترك منها قسم متطرف بلا تكريس لتدفن فيهِ الاطفال الذين يموتون بلا عماد والكفرة الذين يسكنون بين المسيحيين وكل من يحرَم الدفنة الكنائسية وليس من الضرورة ان يكون هذا القسم مفصولاً عن المقبرة بحائط او سياج او حفرة عميقة بل يكفي فيهِ ان يكون مميزًا بعلامة ما (انتهى)

فحبذا لو نُصح الفريقان بالكف عن طبع ونشر مثل هذه الفقرات مراعاةً للزمان والمكان وتوطيداً للحب والوئام اللذين هما اقصى امالنا وغاية مشتهانا والسلام

دمشق احد المشتركين

(المقتطف) لقد اصاب حضرة الامام الفاضل في ما كتب . فان غاية ما يتمناهُ كل راغب في خير ابناء نوعهِ متألم ممَّا اصابهم من التمزيق والتشتيت ان يحسب جميع الناس بعضهم بعضاً اخوة وان يسعوا في ما يزيل اسباب الشقاق ويمكّن عُرَى الوفاق ونحن نلوم كل الذين يكفّرون غيرهم مهما كان مذهبهم

باب الزراعة

زرع القطن المصري في اميركا

قرأنا منذ مدة ان الاميركيين امتحنوا زرع القطن المصري في بلادهم وان المستر لستر دوي كتب رسالةً في هذا الموضوع . وقد اطلعنا على هذه الرسالة الآن وها نحن موردون خلاصتها هنا افادة للقراء . ولاطمئنان الذين يخشون ان تقاوي القطن المصري تزرع في اميركا فيصير قطنها مثل قطننا ويقوم مقامهُ قال الكاتب :

ان القطن المصري من اهم ما يرد الى الولايات المتحدة الاميركية من ذوات الالياف وشعرتهُ متوسطة في طولها بين القطن الابلند وقطن السي ايلند وهي دقيقة ولكن مزيتها الكبرى في متانتها ومرونتها واستعدادها لتجعُّد فتشتبك الشعرات بعضها ببعض حينما تغزل ويكون منها خيط متين جدًّا ولو كان دقيقاً جدًّا . واذا كان القطن المصري في حالة جيدة فلهُ لمعان جميل وملمس زيتي ناعم . والآلات التي تستعمل لتحضير قطن الابلند وغزلهِ لا تصلح لتحضير القطن المصري وغزلهِ . وينسج من القطن المصري منسوجات لا تنسج من القطن الابلند ولا من السي ايلند ولذلك لا يخشى من انهُ يناظر القطن الاميركي رأساً . واكثر ما يُستعمل فيهِ الجوارب الدقيقة الغالية الثمن ونحو ذلك ممَّا يحبك حبكاً ويستعمل ايضاً للمزج مع الحرير والصوف ولغزل الخيوط الدقيقة التي تصنع منها الدانتلاَّ

وقد زاد الوارد من القطن المصري الى اميركا من ٢٠٠٠٠٠ رطل سنة ١٨٨٤ الى اكثر من ٤٣٠٠٠٠٠٠ رطل سنة ١٨٩٦ ثم هبط قليلاً بسبب قلَّة المحصول في القطر المصري . وهاك مقدار ما ورد منهُ الى الولايات المتحدة الاميركية في السنوات العشر الماضية مع ثمن الوارد

سنة	قنطار	ريال
١٨٩٠	٢٩٤٧٧	٤٦٠٠٥٣٥
١٨٩١	١٠١٨٦٣	١٣٧٦٢٥٨
١٨٩٢	١٦٧٦٣٧	١٨٥٦٨٨٥
١٨٩٣	٢٨١٢١٣	٢٩٢٤٧٢٢
١٨٩٤	١٨٣٣٨٩	١٩٣٠٩٨٧
١٨٩٥	٢٩٩٣١٣	٢٧٩٨٢٧٢
١٨٩٦	٤٣٥٧٤٨	٥١٢٩٢٥٦
١٨٩٧	٣٧٣٢٣٢	٤٢٧٧٦١٨
١٨٩٨	٣٨١٦٥١	٣٥٥٥٧٠٨
١٨٩٩	٣٧٥٠٦١	٣٧١٢٢٢٤

وقد ذكر في هذا الجدول القطن الوارد الى اميركا من مصر رأساً وثمنهُ في الاسكندرية ولا شبهة في انهُ يرد ايضاً الى اميركا كثير من القطن المصري آتياً بطريق بلدان أُخرى. واسعارهُ في اميركا اغلى من اسعارهِ في الموانئ التي يرد منها[1]. وسيبقى الطلب على القطن المصري كثيراً او يزيد عمَّا هو الآن عليهِ بسبب اتساع صناعة المحبوكات وزيادة الطلب على المنسوجات التي لا بدَّ لها من القطن المصري

والاراضي التي يظن انهُ يمكن زرع القطن المصري فيها في اميركا ضيقة ولا دليل على ان محصول هذا القطن يزيد على مقطوعيتهِ . وهو يزرع في القطر المصري في مساحة لا تزيد على عشرة آلاف ميل مربع او نحو ثلث ولاية كارولينا الجنوبيَّة

وقد جُلبت التقاوي من القطن المصري الى اميركا اول مرة سنة ١٨٦٧ لامتحان زراعتها فيها . وفي تقرير ديوان الزراعة لسنة ١٨٦٧ و ١٨٧١ كلام عن اكثر من خمسين تجربة جُرّبت في كل الولايات من كارولينا الجنوبيَّة الى تكساس والاباما ولم ينجح من هذه التجارب الاَّ تجربتان في جنوبي لويزيانا . وظهر ان القطن المصري يحتمل العطش ونوعهُ جيد جدًّا والزمن اللازم لهُ من حين زرعهِ الى ان يبلغ جيداً اطول ممَّا يسمح بهِ اقاليم اميركا الاَّ في اقصى الجنوب . وتكبر شجراتهُ ولا تسطو عليها الحشرات كما تسطو على القطن الاميركي وجوزهُ قليل

(١) (المقتطف) بلغ الصادر من القطن المصري الى اميركا هذا العام حتى ٢٣ مايو ٧٥٠٢٨٠ قنطاراً يقابل ذلك ٢٤٢١٦٨ في العام الماضي

صغير واكثره لا يفتح قبلما يشتد البرد وتجلد الارض ولذلك لا تبلغ غلة الفدان منهُ اكثر من ثلث غلة الفدان من القطن الاميركي الابلند

ولما نشر هذا التقرير لم تعد الحكومة تهتم بامتحان زرع القطن المصري في اميركا وظلت على ذلك عشرين سنة . وفي سنة ١٨٩٢ وما بعدها جلب ديوان الزراعة تقاوي ثلاثة انواع من القطن المصري وهي الميت عفيف والباميا والعباسي ووزَّعها على كل دور الامتحان في الجهات التي يزرع القطن فيها وعلى بعض ارباب الزراعة . فدلَّ تقرير الذين زرعوها على الفشل التام حتى ان اكثر الذين زرعوا هذا القطن لم يحفظوا من تقاويهِ الى السنة التالية لما ظهر لهم من قلة محصولهِ فحسبوا ان اعادة التجارب اضاعة للوقت وللنفقات . غير ان الجهات الجنوبية القريبة من خليج المكسيك فصل الصيف فيها طويل فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري جيداً فيها اذا تكرَّر زرعهُ مرتين او ثلاثاً لان التجارب هنا بتقاوي القطن المصري وفي مصر بتقاوي القطن الاميركي تدلُّ على ان تكرير زرع التقاوي الواحدة في البلاد الواحدة حتى تتعود اقليمها يحسّن محصولها . والعلَّة الكبرى لعدم نجاح القطن المصري في اكثر اميركا قصر فصل الصيف فيها . وفي الاماكن الحارَّة الطويلة الصيف عدم تعوُّد هذا القطن على اقليمها فانهُ زرع في مكان من ولاية تكساس ست سنوات متوالية فجاء قطنهُ جيدًا جدًّا

وسنة ١٨٩٥ زاوج المستر ونورث القطن الميت عفيفي بنوع من القطن الاميركي وزرع التقاوي الناتجة من هذه المزاوجة فوجد قطنها مثل القطن المصري او يفوقهُ لان لوزاتهِ اكبر من لوز الميت عفيف وعددها اكثر ونضجها ابكر

ثم شرح الكاتب انواع القطن المصري الميت عفيف والباميا والعباسي واليونوفتش واستطرد الى ذكر الاشموني والزفيري والحمولي والسي ايلند والقليني والزفتاوي . وبيَّن كيفية زرع القطن في القطر المصري وقابل بين الارض الزراعية في هذا القطر وبينها في اميركا من حيث تركيبهما الكيماوي واظهر ان المواد التي لا تذوب في الماء هي اكثر في الاطيان الاميركية منها في الاطيان المصرية والمواد الجمادية المغذية للنبات اكثر في الاطيان المصرية منها في الاطيان الاميركية ويظهر ذلك بنوع خاص في الجير والصودا والبوتاسا والحامض الفصفوريك . والمواد الآلية اقل في الاطيان الاميركية منها في الاطيان المصرية فتربة القطر المصري اخصب من تربة اميركا ولكن السماد يقوم مقام الخصب الطبيعي

وقابل بعد ذلك بين حرارة القطر المصري وحرارة الاماكن التي يزرع فيها القطن باميركا فوجد انهُ توجد فيها اماكن متوسط حرارتها مثل متوسط حرارة القطر المصري تقريباً . ثم قابل

بين الهواء عندنا وفي اميركا وقال انهُ اجنى في القطر المصري ممَّا هو في اميركا وقد نُسِب الى جفافهِ امتياز القطن المصري على غيرهِ لكن الكاتب قال ان ذلك لا يخلو من المبالغة . اما الفرق الكبير بين البلادين ففي مقدار المطر فانهُ قلما يقع شيء من المطر في القطر المصري في الوقت الذي يكون القطن نامياً فيهِ . اما الولايات المتحدة ففيها اماكن قليلة المطر ويظهر من التجارب المتقدمة ان كثرة المطر لم تضرّ بالقطن المصري الذي زرع في اميركا

واستخلص من ذلك انهُ اذا اريد زرع القطن المصري في اميركا فلا يرجى نجاحهُ الاَّ في ساحل خليج المكسيك حيث يعسر ريُّهُ فيكون معرَّضاً لرحمة المطر او في الجنوب الغربي حيث يسهل ريهُ ولكن يعسر زرعهُ . ففي الاماكن الاولى زراعة القطن شائعة والاجور رخيصة وفي الاماكن الثانية لم يعتد الناس زرع القطن والاجور غالية . فلا سبيل لنجاح القطن المصري في اميركا الاَّ بايجاد نوع جديد منهُ يتحمل تغيُّرات الهواء في سواحل خليج المكسيك حيث لا يسهل ري الارض بل تعتمد على المطر او باستنباط طرق جديدة تقل بها نفقات زراعة القطن حتى يزرع في الاماكن الجنوبية الغربيَّة حيث يمكن الاعتماد على الري وحيث الاجور غالية . ولا بدَّ في الحالين من الاستمرار على انتقاء التقاوي حتى يبقى نوع القطن جيدًا

هذه خلاصة ما كتبهُ الكاتب الاميركي ويظهر منها جيدًا انهُ لا خوف من ان تكثر زراعة القطن المصري في اميركا ولا من ان توجد بلاد تنطبق احوالها الارضية والجوية على احوال القطر المصري حتى يكون قطنها مثل قطنهِ وحسبنا دليلاً قريبًا على ذلك ان الوجه القبلي ولاسيما المديريات الوسطى اشبه بالوجه البحري من كل بلاد اخرى بهِ في التربة والري والحرارة والرطوبة ومع ذلك لا يكون قطنهُ مثل قطن الوجه البحري فلا خوف من ان تقوم بلاد اخرى وتناظر القطر المصري في المستقبل القريب

السباخ البلدي

كتب المستر فودن مقالة مسهبة في السباخ البلدي نشرت في مجلَّة الجمعيَّة الزراعية بيَّن فيها امورًا حريَّة بالذكر وهي

اولاً ان زبل الغنم اجود من زبل البقر وزبل الخيل لان فيهِ من النيتروجين والفصفور اكثر ممَّا فيهما كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	حامض فصفوريك	قلويات
زبل الغنم	٧٥	٦٠	٣٠
زبل البقر	٣٠	٢٥	١٠
زبل الخيل	٥٠	٣٥	٣٠

هذا من حيث المواد البرازية الجامدة اما المواد السائلة اي بول المواشي ففيها من المواد المغذية للنبات اكثر مما في الزبل الجامد كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	حامض فصفوريك	قلويات
بول الغنم	١٤٠	٥	٢٠٠
« البقر	٠٨٠	اثر	١٤٠
« الخيل	١٢٠	«	١٥٠

لكن المواشي يختلف مقدار زبلها فالبقر اكثر زبلاً من الخيل والغنم . ويختلف مقدار بولها بحسب شربها للماء فاذا كثر شربها كثر بولها ايضاً وقلّت المواد المغذية فيهِ . ويظهر من ذلك كلهِ ان زبل الغنم اجود انواع الزبل ويتلوهُ زبل الخيل ثم زبل البقر

ويضاف الى الزبل تراب فرشة للبهائم فيمتص البول حتى لا يضيع شيءٌ منهُ وتكون كومة السباخ مؤلفة من الزبل والبول والتراب الذي يمتص هذا البول . والتبن اجود من التراب فرشةً للمواشي

ثانياً . ان السباخ الذي ينتج من الثور الواحد على مدار السنة يبلغ نحو ٢٢٠ قنطاراً فيها قنطار من النيتروجين

ثالثاً . ان الزبل اذا ترك مكشوفاً للهواء ضاع منهُ جانب كبير من فائدتهِ فالواجب تغطيتهُ بالتراب الذي مزج بمواد نباتية

رابعاً . ان استعمال الزبل حالاً بعد اخراجهِ من دوّار المواشي خير من تركهِ حتى يختمر لان الاختمار يتم في الارض كما يتم في كومة السباخ ولا يخسر الزبل شيئاً من فائدتهِ

خامساً . ان الزبل الجديد يسرع النمو فيصلح للذرة والقمح ولا يصلح للقطن ولكن يصلح لهُ السماد القديم لانهُ يحتاج الى النمو التدريجي

سادساً . ان تسبيخ الارض بمقادير قليلة من السباخ دفعات متوالية خير من تسبيخها بمقادير كبيرة دفعةً واحدة

سابعاً . افضل الطرق لتسبيخ الارض ان يوزع السباخ فيها وتحرث حالاً

غلة القطن هذا العام

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية حتى ٢٣ مايو ٦٤٥٨٤٢٩ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٥٢٣٨٣٧١ قنطاراً وبلغ الوارد من البزرة ٣٨٤٧٢٠٣ ارادب يقابل ذلك في العام الماضي ٣١٦٨٥٢٩

باب التقريظ والانتقاد

اسرار البلاغة

في علم البيان

اهدى الينا حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة "المنار الاسلامي" نسخة من كتاب اسرار البلاغة في علم البيان لمؤلفهِ الامام عبد القاهر الجرجاني بعد ان طبعهُ وصححهُ وعلّق حواشيهُ بما عهد في حضرتهِ من الكفاءة

وقد تصفحنا بعض فصولهِ في ما تيسر لنا من الوقت فرأينا اصدق وصف ينطبق عليهِ ما قالهُ احدفضلاء الاساتذة الذين حضروا درسهُ في الازهر الشريف على حضرة العلاَّمة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وهو "اننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان"

والحق يقال ان الكتاب جامع لجميع اسرار البلاغة على ما عرفها العرب وعرّفوها بهِ . ففي الفصل الاول بحث مستفيض في التجنيس وانواعهِ ثم الاستعارة وتقسيمها الى مفيدة وغيرمفيدة وبيان طرق التشبيه وضروب الاستعارة والتشبيه والتمثيل والفرق بينهما ومما قيل في ذلك :

" اعلم ان التشبيه عام والتمثيل اخص منهُ فكلُّ تمثيل تشبيه وليس كلُّ تشبيه تمثيلاً فانت تقول في قول قيس بن الحطيم

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاَّحية حين نوّرا

انهُ تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل وكذلك تقول : ابن المعتزّ حسن التشبيهات بديعها لانك تعني تشبيههُ المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد التشبيه فيهِ من طريق التأول كقولهِ

كأن عيون النرجس الغضِّ حولها مداهن دُرٍّ حشوهنَّ عقيقُ

وقولهِ

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيدِ
يتلو الثريَّا كفاغرٍ شرهٍ يفتح فاهُ لأكلِ عنقودِ

وكلُّ ما لا يصح ان يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيهِ ايضاً فلا يقال : ابن المعتز حسن الامثال تريد بهِ نحو الابيات التي قدمتها وانما يقال صالح بن عبدالقدوس كثير الامثال في شعرهِ يراد نحو قولهِ

، وان مَن ادبتهُ في الصبا كالعود يسقى الماءَ في غرسهِ
حتى تراهُ مورقـاً ناضرًا بعد الذي ابصرت من يبسهِ"

ويتلو ذلك فصل طويل في الموازنة بين التشبيه والتمثيل جمع فاوعى . ثم فصل في الفرق بين الاستعارة والتمثيل قال فيهِ " ان الاستعارة يجب ان تفيد حكمًا زائدًا على المراد بالتمثيل اذ لو كان مرادنا بالاستعارة هو المراد بالتمثيل لوجب ان يصح اطلاقها في كل شيءٍ يقال فيهِ انهُ تمثيل ومثَل والقول فيها انها دلالة على حكم ثبت للفظ وهو نقلهُ عن الاصل اللغوي واجراؤهُ على ما لم يوضع لهُ ...... فالتشبيه ليس هو الاستعارة ولكن الاستعارة كانت من اجل التشبيه وهو كالغرض فيها او كالعلة والسبب في فعلها " ثم فصَّل في الفرق بين التشبيه والاستعارة

وهناك فصل لطيف في الاخذ والسرقة افتتحهُ بقولهِ " اعلم ان الحكم على الشاعر بانهُ اخذ من غيرهِ وسرق واقتدى بمن تقدم وسبق لا يخلو من ان يكون في المعنى صريحًا او في صيغة تتعلق بالعبارة" ثم قسم المعاني الى قسمين عقلي وتخييلي وذكر ما تحتهما من الانواع فقال تحت التخييلي " وكذلك قول من قال" خير الشعر اكذبهُ " فهذا مرادهُ لان الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً . فكم جوَّاد بخلهُ الشعر وبخيل سخَّاهُ وشجاع وسمهُ بالجبن وجبان ساوى بهِ الليث . . . . واما من قال في معارضة هذا القول " خير الشعر اصدقهُ " فقد يجوز ان يراد بهِ ان خير الشعر ما دلَّ على حكمة يقبلها العقل وادب يجب بهِ الفضل كما قيل كان زهير لا يمدح الرجل الاَّ بما فيهِ فمن قال خيرهُ اصدقهُ كان تركُ الانحراف والمبالغة والتجوز الى التحقيق والتصحيح احبَّ اليهِ وآثرَ عندهُ ومن قال اكذبهُ ذهب الى ان الصنعة انما يمدُّ باعها وينشر شعاعها ويتسع ميدانها وتتفرع افنانها حيث يعتمد الاتساع التخييل ويدعي الحقيقة فيما اصلهُ التقريب والتمثيل

الى ان يقول " وكيف دار الامر فانهم لم يقولوا خير الشعر اكذبهُ وهم يريدون كلاماً غفلاً ساذجاً يكذب فيهِ صاحبهُ ويفرط نحو ان يصف الحارس باوصاف الخليفة ويقول للبائس المسكين انك امير العراقين ولكن ما فيهِ صنعة يتعمل لها وتدقيق في المعاني يحتاج معهُ الى فطنة لطيفة وفهم ثاقب وغوص شديد "

ومذهب ناشر هذا الكتاب ان الجرجاني واضع علم البيان وان اسرار البلاغة اول كتاب وضع فيهِ قال " كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا في ما بنوهُ ان جعلوهُ فنًّا مرفوع القواعد مفتح الابواب كما فعل عبد القاهر بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرَّح بهِ بعض علمائها وان لم يذكر لهُ هذه المنقبة

المؤَرخون الذين رأَينا ترجمتهُ في كتبهم" وخالف ابن خلدون في نسبتهِ وضع علم البيان الى السكاكي وقال "ان السكاكي كان عيالاً على عبد القادر تلا تلوهُ واخذ عنهُ مع المخالفة في شيءٍ من الترتيب والتبويب". والكتاب مطبوع طبعاً حسناً بحرف واضح لكنهُ كثير الغلط المطبعي. وهو من المطوَّلات التي يرجع اليها طلبة علم البيان فنثني على حضرة الاستاذ الفاضل الذي تولَّى طبعهُ ونشرهُ بعد ان صححهُ وعلق حواشيهُ

مجموعة
حقوقيَّة طبيَّة هندسيَّة

الَّف متخرجو المدرسة الخديوية جمعيَّة عمليَّة غايتها "احياءُ المجتمعات التي بها النجاة من العيشة الافراديَّة السائدة في بلادنا" واصدروا منذ مدة قصيرة المجموعة التي نحن بصددها وهي تتضمن الخطب التي القاها بعض اعضائها في خلال السنة الماضية فلما تصفحناها وجدناها حافلة بالمواضيع الحديثة والمقالات المفيدة . فمنها مقالة مسهبة في التربية والتاريخ لكاتبها الاديب علي افندي ماهر بمدرسة الحقوق الخديويَّة أبان فيها ان التربية الوطنية او السياسية قديمة العهد في التاريخ والحاجة اليها ماسَّة في كل مكان وزمان لان لها اشد العلاقة بالوطن والاستقلال وصور الحكومات والمبادئ القويمة التي اسست عليها من حرية ومساواة واخاء . وتكلم على الوطن فقال "ان ارق شعور واجمل احساس يثير في النفس حمية تحلُّ بالقلب هزة وتنزل بهِ خفقاناً هو حبُّ الوطن" واستطرد الى ذكر الواجبات نحو الوطن والانانية والاستقلال الداخلي والسيادة الاهلية وما تحتهما من الاقسام وصور الحكومات المختلفة والحرية والمساواة والاخاء وانواعها فأجاد وافاد

ومنها مقالة في اشعة رنتجن لحضرة الاديب عبد الرحمن افندي عمر احد طلبة مدرسة الطب أبان فيها اهمية "آخر الاكتشافات العظيمة في القرن التاسع عشر" فبحث اولاً في الكهربائية واستعمالها ثم انتقل الى الكلام على اشعة رنتجن وطريقة اكتشافها واستعمالها في الفوتوغرافيا الحديثة والطب

ويلي ذلك مقالة في التكافل والتضامن لحضرة الاديب محمد حلمي افندي عيسى بمدرسة الحقوق الخديويَّة ذكر فيها اصل التكافل ومنشأهُ واقوال بعض الفلاسفة فيهِ وردَّ الآخرين عليهم مثل جان جاك روسو وابن خلدون وغيرهما من الفلاسفة المتقدمين والمتأَخرين ثم ذكر اركان التضامن والتكافل وقسمها الى قسمين تكافل عاملي وتكافل اجتماعي

ومقالة في التنويم المغنطيسي واستحضار الارواح لحضرة الاديب محمد افندي شكري بمدرسة الطب اتى فيها على تاريخ التنويم المغنطيسي وطرق المعالجة بهِ وآراء الاطباء فيهِ

واخرى في لوازم الحياة الاصلية لحضرة الاديب محمود افندي ماهر بمدرسة الطب ذكر منها الهواء النقي والاكل والشرب والحرارة والنظافة والنور والحركة والرياضة البدنية والراحة

وآخرها مقالة عنوانها شهران بسويسرا لحضرة علي افندي ماهر بمدرسة الحقوق الخديوية بعث بها من سويسرا ووصف فيها احوال المعيشة هناك وما شاهد من المناظر الطبيعيَّة البديعة وآثار القرون الوسطى والمجتمعات الحديثة والحكومة وسائر ما يتعلق بالبلاد حتى جاءَت رسالة تنيف على اربعين صفحة كلها فوائد واخبار

والخلاصة ان اعضاء الجمعية الكرام لم يكتفوا بحصر فوائدها فيهم بل راموا نشرها بين اخوانهم من المتكلمين بالعربية ففعلوا واحسنوا . وغاية ما نتمناهُ لهذه الجمعيَّة المفيدة ان تزيد نموًّا وارتقاءً لما فيها من الفائدة للوطن

الدنيا في باريس

كثيرون من الناس لا يسرون بالروايات ولا يميلون الى مطالعتها لانهم لا يميلون طبعًا الى الحكايات الخيالية التي لا اساس من الصحة لها ولو كان فيها ما فيها من الفكاهة واسباب اللذة العقلية فيستعيضون منها قراءة القصص والوقائع الحقيقيَّة كالتواريخ والرحلات . ومن الرحلات التي كان لها وقع عظيم عند القراء رحلة الكاتب المحقق عزتلو احمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار الى معرض باريس العام سنة ١٩٠٠ وقد سمَّاها " الدنيا في باريس " وزينها بصور ابنية المعرض ورسوم ما فيهِ من غرائب المشاهد والمناظر كمنظر سقوط القنطرة المعلقة في الهواء ومنظر عموم المعرض من جهات مختلفة وقنطرة اسكندر الثالث والرصيف المتحرك والقصر العثماني وغير ذلك من القصور

وبينما نحن نطالع ما كتب عن معروضات القصر الالماني استوقف نظرنا ما ورد فيهِ عن تجارة الكتب في الكلام على احتكار المانيا لطبع الكتب العربية وهذا نصهُ

"ومما امتازت بهِ الطباعة الالمانية انها احتكرت تقريبًا الكتب الشرقية ونحن اعرف الناس بان هؤُلاء القوم ينقرون عن آثار اسلافنا التي لا نكاد حتى الآن نسمع بها او نتصور وجودها وهم يطبعونها و يستفيدون منها مالاً وعلمًا وفضلاً . . . . نعم فقد طبع الالمان اهم كتب ائمتنا في التاريخ والجغرافية والادب وسائر العلوم ثم تجيء بعض مطابعنا فتسرق عنهم ولا تخجل

من عدم نسبة الفضل اليهم في هذا الباب . ويا ليت اصحاب المطابع في مصر يعادلونهم في صحة الطبع ودقة التصحيح وتقريب التناول وتسهيل المأخذ بل ان الكتاب المطبوع اولاً في المانيا ثم في مصر بعد عشرات من السنين لا يزال يساوي في القيمة حسًّا ومعنًى عشرة امثال تلك الهذيانات التي يطبعونها في مصر" ثم ذكر جدولاً يتضمن اسماء اكثر من خمسين كتاباً قال عنها في راس الجدول انها "كتب عربية نفيسة طبعوها ونحن لا نعلم ولا ندري"

ولا تخلو صفحة في هذا الكتاب من فائدة يحسن حفظها او انتقاد يجب الانتباه لهُ ولقد احسنت مجلة طبيب العائلة في اعادة طبعهِ ونشرهِ

الغادة السورية في الديار الاميركية

اسم رواية غرامية ادبية انتقادية اهداها الينا حضرة مؤلفها الاديب قيصر افندي ابرهيم معلوف صاحب جريدة البرازيل ورئيس تحريرها. وهي تبحث في حالة الابنة الشرقية والاحكام العدلية وتصف حالة المهاجر السوري في البرازيل وقد نشرت تباعاً في اعداد جريدة البرازيل ثم في كتاب على حدة فنثني على حضرة صاحبها اطيب الثناء

كنز الجوهر في تاريخ الازهر

كتاب نفيس الَّفهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ سليمان رصد الحنفي . وهو يشتمل على تاريخ الجامع الازهر في مقدمة وخمسة مقاصد تكلم فيها على ابتداء الاسلام والدولة التي اسست الازهر والتجديدات التي عرضت عليهِ ومشتملاتهِ ومشيختهِ ومشاهيرهِ في هذا العصر والحوادث التي حدثت فيهِ وعادات اهلهِ . ويلي ذلك خاتمة فيها الاحصائيات من اول جعلهِ مدرسة الى اليوم الحاضر واحصائيات المدرسين والطلبة في عموم القطر المصري . فنشكر لحضرة المؤلف اعتناءهُ في جمع هذا الكتاب ونشرهِ

الامومة عند العرب

رسالة نقلها عن الالمانية الى العربية حضرة العالم المحقق بندلي صليبا الجوزي وطبعها في قازان من اعمال الروس بحروف عربية من الطراز القديم وغرض المؤلف منها ان يثبت الامومة عند العرب اي انتساب الاولاد الى امهاتهم لان ناموس الزواج المتبع الآن لم يكن مرعيًّا عندهم تمام الرعاية بل كان الزواج من نوع المتعة . وظاهر ذلك مخالف لما هو شائع من حفظ العرب لانسابها ولكنهُ موافقٌ من بعض الوجوه لما فصَّلهُ البخاري في صحيحهِ في ذكرهِ انواع الزواج عند العرب

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سمك الآبار الارتوازية

اتياي البارود . محمود افندي العلواني
بينما كنت اطالع في مجموعة قديمة من الجرائد وقع نظري على مقالة في جريدة الاهرام الصادرة في ١٥ تموز سنة ١٨٨٠ عنوانها صحراء افريقية والآبار الارتوازية وفيها ان اسماكاً حيَّة تامَّة الخلقة كانت تخرج من مياهها المنفجرة من اغوار عميقة وكانت درجة حرارة الماء ٧٦ فارنهيت فما سبب وجودها وكيف يمكن ان تعيش هناك من غير هواءٍ ولا اكسجين

ج ان صحَّ ذلك فيكون في واحة من الواحات العالية بركة فيها سمك وهي متَّصلة بالمكان الذي حُفِرَت فيهِ البئر الارتوازية فلما حفرت خرج الماء بسمكهِ منها . وقد يوجد السمك في الكهوف الغائرة في جوف الارض اذا كان فيها برك ماءٍ لان ماء هذه البرك يكون متصلاً بنهر او غدير والسمك يصعد في الماء الى منبعهِ ولا سيما اذا كان في منبعهِ بحيرة فيبيض فيها ويولد ثم ينزل مع الماء الى حيث يصبُّ في بحر او بحيرة

(٢) مطر الفيران

ومنهُ . نظرت في العدد ١٤٢٩ من جريدة البصير الصادرة في ٢٦ مايو ان السماء امطرت قسطنطينية وضواحيها فيراناً وجرذاناً غطت وجه الارض فكيف يكون ذلك

ج اذا هبَّت الريح اعصاراً ومرَّ الاعصار على ارض مُنيت بالفيران والجرذان حملها عن الارض ثم لا يلبث ان يقع منهُ مطر غزير في مكان آخر فيقع معهُ ما حملهُ من الفيران والجرذان . وقد يمرُّ الاعصار على بحيرة فيحمل جانباً من مائها وسمكها ويلقيهما في مكان آخر فيظهر كأن السماء امطرت سمكاً

(٣) زيت الزيتون والبترول

القاهرة . الخواجه نقولا غبريل . امتزج زيت الزيتون بزيت البترول فما هي الواسطة لتفريقهما وتنقية زيت الزيتون من البترول

ج البترول طيَّار وزيت الزيتون ثابت فضعوا المزيج على نار خفيفة جدًّا او فوق حمام مائي زمناً طويلاً فالراجح عندنا ان البترول

يطير كلهُ . ويحسن ان يضاف الى المزيج ماء في الاناء الذي يسخَّن فيهِ حتى يبقى الماء في الاسفل ولا ترتفع درجة الحرارة عن درجة الغليان اما فصل الزيت عن الماء اخيراً فسهل بمبزل يوضع بين الزيت والماء واذا لم يفصل البترول عن الزيت فلا يتلف الزيت لانهُ يستعمل لتزييت الآلات

---

(٤) مشتركو التيمس

باهيا بالبرازيل. الخواجه الياس مارون. اختلفت انا واحد الاصحاب في عدد مشتركي جريدة التيمس الانكليزية فقال ان مشتركيها لا يزيدون على عشرين الفاً وقلت بل انهم يزيدون كثيراً نظراً لاهميتها فما رأيكم في ذلك

ج وضع عددمشتركي التيمس في قاموس الجرائد الذي نشرهُ هبرد سنة ١٨٨٢ مئة الف ومن المحتمل انهم لم يزيدوا كثيراً منذ عشرين سنة الى الآن لانهُ أُنشئت جرائد كثيرة يومية ارخص من التيمس كثيراً ولكن لا يحتمل انهم نقصوا كثيراً لانهُ لا يزال للتيمس المقام الاول بين جرائد الدنيا اليومية . وعدد القادرين على الاشتراك فيها من الانكليز يزيد عاماً بعد عام

(٥) العقدة

ومنها انا مع انكارنا صحَّة السحر نرى البعض يستعملون العقدة وينجحون فكيف ذلك

ج ان الروايات التي من هذا القبيل ليست مما يمكن البحث فيهِ بحثاً علمياً ولذلك تبقى في معرض الشك . ولما كانت الامور المنسوبة الى السحر التي يمكن البحث فيها بحثاً علمياً قد ثبت فسادها فنحكم قياساً عليها بفساد ما يروى عن العقدة ايضاً ونفتش عن سبب آخر لها فنجدهُ طبيعياً . غير انهُ اذا تغلَّب الوهم على انسان واعتقد انهُ معقود فقد يغلبهُ وهمهُ ويُعقد حقيقةً

(٦) الخمر والماء

ومنهُ . يقال ان لا شيء انفع للشرب من الماء الزلال وان الخمرة تجلب المضرَّة فما رأيكم في ذلك اوَ لا يجوز استعمال الخمر عند مناولة الطعام

ج اذا اريد الشرب لارواء العطش وتذويب الطعام فالماء خير ما يشرب ولا داعي لشرب الخمر الاَّ اذا اشار بها الطبيب دواء

---

(٧) تلغراف مركوني في الحرب

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي . ايقوم تلغراف مركوني مقام حمام الزاجل اثناء الحصار

ج نعم اذا كانت آلاتهُ موجودة عند الذين يريدون ان يتخاطبوا بهِ

(٨) تكبير المقتطف

ومنهُ . لقد تكرمت الحكومة فاجابت طلب صاحب السعادة سابا باشا وجعلت اجرة

نقل المجلات مليمًا واحدًا مهما كبر حجمها فعلى مَ لم تكبروا لنا حجم المقتطف

ج لقد كبرناهُ على اثر ذلك فجعلناهُ ١٣ ملزمة وكان في العام الماضي ١٢ ملزمة وتكبير حجم المقتطف يتوقف على زيادة عدد المشتركين فاذا كنتم انتم وغيركم تجتهدون حتى يتضاعف عدد المشتركين فنحن نضاعف حجم المقتطف . اما ملخص تاريخ العام الماضي شهرًا شهرًا فلم نهملهُ ولكننا لم نجد حتى الآن وقتًا كافيًا لجمعهِ

(٩) عمل الشيطان

ميخائيل افندي حنا باشكاتب محطة كفر الزيات . كيف تعللون تأثير روح الشيطان في الانسان أليس عملهُ الشيطاني ناتجًا عن قوة طبيعية في النفس او عن مؤَثر خارجي

ج ان الناس الذين قيل ان بهم مسًّا من الشيطان وبحث في امرهم علماءُ هذا العصر وجدوا فيهم مرضًا عصبيًّا في ادمغتهم ومن ثمَّ صار الجنون يعدُّ الآن من الامراض العصبية التي لها اسباب طبيعية . والذين يأخذون بقياس التمثيل يقولون ان كل المجانين من هذا القبيل والذين لا يأخذون بهِ يقولون اننا ولو بحثنا في احوال مئة الف مجنون ووجدنا جنونهم مرضًا عصبيًّا طبيعيًّا يشفى بالعلاج احيانًا كثيرة فلا يؤْخذ ذلك دليلاً على ان المجانين الذين جُنوا منذ الف سنة او الفي سنة لم يكن جنونهم ناتجًا عن فعل الشيطان بهم . لاسيما وان لدينا نصوصًا كتابية صريحة على فعل الشيطان . والذين يقولون هذا القول لا سبيل لنفي قولهم ولكن يظهر لنا ان الاعتقاد بفعل الشياطين آخذ في الضعف حتى بين علماء الاديان

(١٠) احضار الارواح

ومنهُ . اوضحوا لنا حقيقة احضار الارواح

ج لا يمكننا ان نوضح لكم حقيقة شيءٍ لا صحة لهُ فقد ادَّعى كثيرون انهم يحضرون الارواح وحاولوا احضارها امامنا حتى في مدينة باريس فلم يحضروا شيئًا وكنا نضحك عليهم احيانًا فننقر على ارجل المائدة باقدامنا فيزعمون ان الارواح حضرت واجابت طلبهم . وهؤُلاء غير خادعين في الغالب بل مخدوعون يتوهمون امورًا ويصدقون وهمهم كأَنهُ حقيقة

(١١) حقيقة السحر

ومنهُ . هل السحر حقيقي وهل يوجد سحرة صادقون

ج لقد كتبنا فصولاً مسهبة في فساد السحر اي في فساد ما يدعيهِ بعض الناس من انهم يستخدمون الشيطان لقضاء بعض الاغراض او انهم يؤَثرون في الناس تأثيرًا طبيعيًّا من غير ان يوصلوا اليهم التأْثير بواسطة من الوسائط التي تنتقل بها القوى الطبيعية . ونعني بذلك انهُ لا دليل على ان الانسان يستطيع ان يجلس في بيتهِ مثلاً ويستدعي الشيطان

ويقول لهُ اذهب واقلع قطن فلان او احرق مخزن فلان او اكشف لنا السارق الذي سرق البيت الفلاني . ولو وُجد انسان يستطيع ان يفعل هذا الفعل لاستاجرهُ الناس بالالوف من الجنيهات لكي يرشدهم الى الجناة او لأَمر الشيطان ان يرشدهُ الى مناجم الذهب والماس فيصير من اغنى اهل الارض بدلاً من ان يتضوَّر جوعاً كما يتضوَّر اكثر السحرة

اما التأْثير في الناس من غير واسطة توصلهُ اليهم فمثل ان يدَّعي انسان انهُ يكتب ورقة لزيد فتؤَثر الكتابة فيهِ حتى يحب فلانة او يبغض فلانة فانهُ لو كانت الكتابات تقضي الاغراض لاعتمد عليها الناس دون سواها من الوسائل فيكتبون ورقة تجعل كارنجي يوزع عليهم ثروتهُ وركفلر يعطيهم امواله وسسل رودس يوصي لهم بما يمتلك بدلاً من ان يتعبوا ويشقوا في طلب الرزق . واغرب من شيوع هذه الاوهام تصديق الناس لها وهم يرون ان الخبز لا يؤْكل الاَّ بعرق الجبين والاعمال لا تعمل الاَّ بالجهد والتعب

الاَّ ان المؤَثرات لا تكون كلها مادية ظاهرة بل منها ما تكون ماديتهُ خفيَّة فقد يسمع المرء كلمة فيبكي وينتحب او يقع مغمى عليهِ كما اذا قلت لهُ قتل ابوك او قتل ابنك فان الصوت الذي تتلفظ بهِ لا يكفي لتحريك ريشة ولكن المعنى الذي يتضمنهُ يدخل مخادع النفس ويحرك اعصابها فتظهر افعالها المخزونة فيها كما يظهر فعل البارود من وقوع الشرارة عليهِ . فاذا رأَى الناس اموراً غريبة لم يروا اسبابها فليس بمستبعد ان ينسبوها الى قوة سحرية اذا لم يكونوا من المطَّلعين على مباحث رجال العلم في هذه المواضيع او اذا كان لهم بضاعة تروج باثبات السحر

(١٢) الاختيار والاضطرار

ومنهُ . يقال ان الانسان مسيَّر لا مخيَّر فهل الله تعالى يقدّر على السارق السرقة وعلى القاتل القتل او الانسان مخيَّر في مثل هذه الاعمال

ج يقول قوم ان الانسان حرٌّ الارادة في اعمالهِ كما ابنا في مقالة مسهبة موضوعها هل الانسان حرٌّ الارادة وفي مقالة اخرى موضوعها الاختيار والاضطرار ولذلك يحق عليهِ العقاب اذا اخطأَ ويقول قوم انهُ مضطر غير مخير وهم يعنون بذلك ان الاعمال كلها سلسلة من المقدمات والنتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول فاذا قتل قاتل فالاحوال التي كان فيها من حيث بنية جسمهِ وتركيب عقلهِ واحوال المكان والزمان وكل الملابسات الاخرى تضطر القاتل الى القتل ولا يستطيع ان يمنع ذلك . وقد رجحنا مذهب الاختيار على الاضطرار كما يظهر لكم بالمراجعة

---

(١٣) علاج القرع

المراغا . قرياقص افندي ميخائيل . ما

هو العلاج الذي يشفي من القرع اذا عولج بهِ باكرًا

ج تنقع القشرة التي تتكون على الراس بزيت الزيتون ولبخ بزر الكتان حتى تصير تنفصل بسهولة ثم يغسل الراس بالصابون وينظف منهُ بالماء وينزع الشعر المريض بملقط شعرة شعرة ويحترس لكي ينزع الشعر كلهُ من بصلاتهِ ويدهن الراس بعد ذلك بمادة تميت الاحياء الصغيرة لان القرع مسبب عن مادة فطرية حية ومن احسن المواد لذلك الحامض الكربوليك تمزج ثلاثة دراهم منهُ بثلاثة دراهم من الغليسرين وثلاثة دراهم من الماء النقي ويدهن الراس بهذا المزيج مرة كل يوم

ومن المواد التي تميت هذه الفطر مرهم السليماني هكذا

سليماني من عشر قمحات الى عشرين

مرهم بسيط اوقية

وهذا العلاج يستعمل في اول المعالجة وهو سام فيجب الحذر منهُ

ومتى ماتت المواد الفطرية يستعمل دهون خفيف الفعل وتزداد خفتهُ رويدًا رويدًا حتى يكتفي بالزيت كواقٍ لجلد الراس من الهواء. ولا بدَّ من تغذية جسم المصاب بالاطعمة المغذية كاللبن والزبدة والمخاخ والادوية المقوية كالحديد وزيت السمك. ومعالجة القرع معروفة عند كل الاطباء فيجب ان تعتمدوا عليهم

(١٤) حظ العلماء

ومنهُ يزعم بعضهم ان كل مَن كان عالمًا فحظهُ من الكتابة رديء فهل في ذلك شيء من الصحة

ج اذا اريد بالعالم مَن يقتصر على درس كتب اللغة والدين فهذا القول صحيح غالبًا لان هذه العلوم لا تكفي للكسب واذا اريد بالعالم مَن يتعلَّم هذه العلوم وغيرها وتكون علومهُ وسيلة يتدرَّج بها الى ما هو عملي لا غاية يقف عندها فالقول غير صحيح والمتعلّم اقدر من غير المتعلم على الكسب اذا تساوت وسائطهما الاخرى ولولا ذلك ما زادت رغبة الناس في التعلُّم والتعليم

---

(١٥) اتلاف الخلد

اسكلة طرابلس. اسعد افندي بوج (؟)

عندنا كثير من حيوان الخلد وهو يتلف المزروعات فما هي الطريقة لابادتهِ

ج ان طعام الخلد من المواد الحيوانية كالديدان والحلازين والفيران لا من المواد النباتية فلا ندري كيف تقولون انهُ يتلف المزروعات. والحقيقة انهُ يفيد المزروعات لانهُ يأكل الحشرات التي تتلفها فلا تفتشوا عن واسطة لقتلهِ

(١٦) تفضيض البلور

ومنهُ. ما هي الواسطة التي يتفضض بها البلور فيصير مرايا

ج كانت المرايا تصنع من القصدير والزيبق . يبسط ورق القصدير على مائدة مستوية ويذرّ عليهِ الزيبق حتى يغطيهُ فيصير الزيبق والقصدير ملغماً ثم يوضع لوح الزجاج على لوح القصدير رويداً رويداً ويضغط عليهِ حتى يلصق بهِ فيصير مرآةً . اما الآن فتصنع بترسيب الفضة عليها هكذا : يذاب درهم من نيترات الفضة في مئة درهم من الماء النقي ثم يضاف اليهِ قدر درهم من ماء النشادر وبعدهُ درهم من مذوب حامض الطرطير ويهز جيدًا وينظف لوح الزجاج ويوضع على الرمل افقيًّا ويصب عليهِ هذا المزيج فيرسب منهُ قشرة من الفضة على لوح الزجاج وتغسل جيداً بوضعها في الماء من غير ان تلمس باليد ثم يصب عليها ڤرنيش. وقد نشرنا نبذًا كثيرة عن عمل المرايا في المجلدات الماضية وبعضها وصف ما عملناهُ بيدنا

باب الاخبار العلمية

فوائد البراكين

مصائب قوم عند قوم فوائدُ

مهما المَّ بهذا الكون من الملمات والكوارث ومهما نزل بهِ من النوازل والحوادث فجماعة العلماء يحوّلونهُ الى منافع وفوائد جارين في ذلك مجرى من قال ان المصائب بركات متنكرة. فقد كتب العالم وليم لُكير رسالة الى جريدة ناتشر الانكليزية موضوعها ثوران جبل يلي والغبار قال فيها ان هبوب عواصف الغبار الذي يرافق ثوران البراكين مهمٌّ جدًّا في علم الظواهر الجوية لانهُ يدلنا على حركات المجاري الهوائية في اعالي الجوّ وعلى سطح الارض . فقد ظهر من بعض التقارير التي كتبت عن ثوران بركان يلي في ٨ مايو ان الغبار الذي قذفهُ البركان ملأَ ظهر الباخرة الانكليزية اسك وهي على بعد خمسة اميال عن البرّ وتكاثف حتى احلولك الظلام فلم يعد ركاب السفينة يرون شيئًا مما حولهم

واذا كان ثوران البركان شديدًا حتى يقذف بالغبار الى علوٍّ عظيم ويصل الى مجاري الهواء العلوية فقد يدور مع المجاري حول الارض من الشرق الى الغرب فيشعر بهِ في كل مكان يمرُّ بهِ كما جرى عند ثوران بركان كراكاتوى

انفجار بالون سفرو

ذكرت التلغرافات اليومية خبر انفجار البالون الذي ذكرناهُ في الجزء الماضي وكان سفرو راكبًا فيهِ هو ورجل آخر فقتلا . وقد

فصّلت الجرائد العلمية ذلك فقالت ان موتهما نشأ عن سقوطهما من علو اكثر من الف قدم ولكنها اختلفت في سبب الانفجار فقالت انهُ لا يعرف ما اذا كان الانفجار قد نشأ عن احتراق غاز الهيدروجين الذي يملأ البلون بواسطة الآلة التي تدير البلون وتتصل بهِ من الاسفل او ان قسماً من الآلة حمي فاشعل غلاف الغاز . وهي ترجح السبب الاول بدليل ان البلون صعد في الهواء بسرعة عظيمة فادى ذلك الى افلات بعض الغاز بسبب قلة ضغط الهواء ثم الى احتراقهِ وحدوث الانفجار لاسيما وان الآلة التي تدير البلون كانت على بعد متر فقط من الغلاف

الزلازل

قال الدكتور كنكاني الايطالي في اجتماع جمعية الزلازل الايطالية ان المدة التي تمرُّ بين زلزلة كبيرة واخرى تختلف بين ٩٣ و ٢/١ ١١٤ سنة فيكون المتوسط ١٠١٫٩ من السنة وانهُ قد حدث في ايطاليا في العشر السنوات الاخيرة نحو ٣٣٦١ هزة ما عدا الهزات التي لم يشعر بها بل دلّت آلات قياس الزلازل عليها . وان معظمها وقع في شهري يناير ومارس في الخمس السنوات الاخيرة اما الساعات التي يكون فيها وقوع الزلازل على اقلهِ فمن الساعة الخامسة الى الثامنة بعد الظهر وعلى اكثرهِ في الساعة الاولى بعد نصف الليل . ويقال بالاجمال ان نسبة الزلازل التي تحدث ليلاً الى التي تحدث نهاراً كنسبة ١٫٥ الى ١

البلون لقياس الحرارة

طيّرت البلونات من اماكن مختلفة في اوربا صباح السادس من فبراير الماضي لقياس درجة الحرارة في الاعالي ومعرفة نسبتها الى حرارة سطح الارض فكانت كما يأتي

ستراسبرج . كانت درجة الحرارة على سطح الارض ٠٫٩ بميزان سنتغراد فبلغت ٣٩٫٧ على علو ٨٢٩٠ متراً . ولما اخذ البلون بالصعود كانت ٠٫١ فصارت ٦٫٨ على علو ٣٦٠٠ متر

برلين . كانت ٤٫٤° على سطح الارض فبلغت ١٢٫٩ على علو ٣٦٣٥ متراً

فينا . كانت ٨٫٦ على سطح الارض فصارت ١٢٫٠ على علو ٣٧٦٠

وطيَّر المستر روتش طيارة من مرصد بلوهل في الولايات المتحدة فوجد اقلّ الحرارة ١٦٫٠ درجة على علو ١٢٤٢

تركة سسل رودس

يذكر القراء ان سسل رودس اوصى بقسم من تركتهِ لينفق على تعليم بعض اولاد المستعمرات الانكليزية في انكلترا . وقد اعلن السر الفرد جونس مدير احدى الشركات البحرية العظيمة انهُ يسمح للتلاميذ الذين يسافرون من جاميكا وكندا الى انكلترا

بركوب بواخر شركتهِ مجاناً ذهاباً واياباً مدة سني دروسهم وقال في ختام اعلانهِ "ولي الامل ان مديري شركات البواخر التي تمخر بين انكلترا والمستعمرات الاخرى يحذون حذوي حتى تعمّ هذه المساعدة ويصبح تلامذة المستعمرات كلها متساوين في هذا الامر"

الكساڤا

الكساڤا نبات لهُ جذور غليظة تستخرج منها التبيوكا وقد يبلغ وزن الجذر او الثؤلول ثلاثين رطلاً وهو يجود في الاقاليم الحارَّة والفدان المزروع كساڤا يستخرج منهُ من المادة النشوية اكثر مما يستخرج منهُ لو زرع باي نبات آخر فان غلة الفدان منهُ تبلغ نحو مئة وثمانين قنطاراً مصرياً واذا زرع علفاً للمواشي فمنهُ نفع كبير وربح كثير

اوجه القمر والعواصف

كان القدماءُ يعتقدون ان للاجرام السموية علاقة شديدة باحوال الارض الطبيعية وحركات ما عليها من حيوان ونبات حتى انهم كانوا ينسبون كلَّ ما يطرأُ على الارض والبشر من التغيرات الى حركات الاجرام في افلاكها . فاذا ظهر نجم مذنب انبأُوا بوقوع البلايا والمحن كالحروب والمجاعات وغالوا في ذلك حتى اعتقدوا ان لكلّ انسان نجماً يدير حركاتهِ وسكناتهِ وبقي ذلك شائعاً الى القرن الماضي . على ان علم الفلك الحديث دحض كل هذه الخزعبلات واثبت ان لا علاقة للارض الاَّ بالشمس والقمر فانها تستمد من الشمس نورها وحرّها وهي احدى السيارات التي تدور حولها . واما القمر فانهُ يدور حول الارض في دورانها حول الشمس وهو الجرم الوحيد الذي لهُ بعض العلاقة بما يطرأُ على الارض من التغيرات الطبيعيَّة كالمدّ والجزر وتقلبات الهواء وحدوث العواصف والزوابع كما ثبت لكثيرين من مديري المراصد. فقد كتب المستر مكدوول الى جريدة ناتشر الانكليزية يقول انهُ ظهر من الارصاد الفلكية في مرصد جرنوتش مدة الثلاث عشرة سنة الاخيرة ان للزوابع والعواصف علاقة بتغير اوجه القمر وثبت من تقارير بعض المراصد عن الظواهر الجوية ان الزوابع والعواصف تكون اكثر عدداً عند ما يكون القمر هلالاً مما هي عليهِ عند ما يكون بدراً . وكتب المسيو فنتوسا من مدريد يقول ان نتيجة ارصادهِ من سنة ١٨٨٢ الى ١٩٠١ تؤيد الحقيقة المتقدمة فان العواصف تكون في الهلال ١٣٢ وفي الربع الاول ١٠٤ وفي البدر ٩٩ وفي الربع الاخير ١٢٠

مهلك الغوّاصات

لم تكد الغوّاصات تنزل في البحر حتى اهتمت مدرسة البحرية في بلاد الانكليز بايجاد طريقة لاتلافها دفعاً لشرها عن المدرعات

فاستنبطت قاربًا يمتد منهُ عمود طويل جدًّا يعلق في طرفهِ طربيد ويطلق منهُ فيتلف الغوّاصة على عشرة امتار منهُ ولا يصاب هو ولا عموده باذًى

عائشة تيمور

توفيت هذه السيدة الفاضلة والشاعرة المشهورة صاحبة ديوان حلبة الطراز في ٢٥ مايو وشيعت جنازتها بعد ظهر ذلك اليوم وسننشر ترجمتها بقلم احدى السيدات العارفات بها

سير الماء وتطهير الترع

كتب بعضهم رسالة بيَّن فيها ان الماء الجاري في مجرًى غير مستقيم الجانبين يميل الى النحر في الجانب المقعَّر وترسيب المواد التي يأكلها على الجانب المحدَّب فاذا جُعل جانباهُ مستقيمين متوازيين لم يعد يأكل من احدهما ويرسب الموادفي الآخر فتقل نفقات التطهير وتزول الخسارة من جرف الارض من الجانب المقعَّر

اصلاح عدسية العين

كثيرًا ما يطرأُ على عدسيات آلات التصوير الشمسي خللٌ كالانحراف الكروي مثلاً او تكون الفتحة التي تدخلها اشعة النور واسعة فلا ترتسم صور الاشباح واضحة على لوح الزجاج فيصلح المصورون ذلك الخلل بتضييق الفتحة المذكورة فترتسم صورة الشبح المراد تصويرهُ واضحة

وما يقال عن آلات التصوير هذه يقال عن العيون البشرية ايضًا فان العدسية البلورية يقلُّ تحدبها كلما تقدم الانسان في العمر فلا تعود صور المرئيات ترتسم على الشبكية بل خلفها فلا تظهر الاشباح جلية . وعليهِ فما يصحُّ على آلة التصوير يلزم ان يصحَّ ايضًا على العين فاذا ضيِّقت عين مَن ضعف بصرهُ بسبب التقدم في السن وجب ان يتحسن بصرهُ وقد ايدت التجارب هذا الاستنتاج وذلك بان تؤْخذ صفيحة رقيقة من المعدن وتثقب ثقبًا دقيقًا قطرهُ ١/٥٠ من العقدة وتقرب من العين . وقد جرَّب بعضهم هذه الطريقة وهو من الذين يستعملون النظارات المحدبة للقراءة فقال انهُ جرَّب الصفيحة المذكورة فاستطاع قراءة الحروف الصغيرة بسهولة وهي على بعد اربع عقد عن عينيهِ وجرَّبها ايضًا في عدة شيوخ فنجحت فيهم كلهم

ربح الصناعة الاميركية

لما انضمت شركات عمل الفولاذ (الصلب) في اميركا الى شركة واحدة وزيد رأس مالها حتى بلغ ٢٢٩ مليون جنيه حسب كثيرون ان ربحها سيقلُّ كثيرًا بسبب ما زيد على رأس المال لكن ظهر من حسابها عن العام الماضي انها صنعت من الصلب ما قيمتهُ ٤٥٩ مليون ريال تطرح منها نفقات العمل والعمال وهي ٣٤٣ مليون ريال فيبقى ١١٦ مليون

ريال يحفظ منها نحو ٢٤ مليون ريال مقابل "هرش" العدد فالباقي ٩٢ مليون ريال يوزع ربحاً ومعلوم ان رأس المال ٢٢٩ مليون جنيه او نحو ١١١١ مليون ريال فيكون الربح اكثر من ٨ في المئة . ولا خوف من ان يقل العمل في هذه المعامل لان عندها من الطلبات الآن ما لا تستطيع اتمامهُ في سنة كاملة . هكذا تكون المعامل وهكذا تكون هم الرجال

اسرع قطار

اسرع قطار عرف الى الآن قطار يسير في الولايات المتحدة الاميركية فانهُ قطع مسافة ١٤٫٨ الميل في تسع دقائق فيكون متوسط سرعتهِ اكثر من ٩٨ ميلاً في الساعة

زلزلة جواتمالا

زلزلت الارض زلزالاً شديداً في جواتمالا باميركا الجنوبية خربت بها جميع المدن والقرى والزراعات التي في القسم المخصب من البلاد ولكن لم تفقد بها نفوس كثيرة . وسبب الزلزلة ثوران بركان في تلك الجهات اسمهُ بركان تشنجو

استعمال البترول للوقود

يرى بعض الخبيرين من الانكليز انهُ لا يمضي زمن طويل حتى يحلّ زيت البترول محلّ الفحم الحجري . والذي يعجّل في ذلك غلاء اسعار الفحم واكتشاف آبار كثيرة لزيت البترول فقد اكتشفت بئر منهُ في بورنيو بلغ ما اصدر منها الى الخارج مئة الف طنٍ او اكثر

وزيت البترول مستعمل للوقود الآن عند اعظم الشركات البحرية فان شركة البواخر الالمانية تستعملهُ في بواخرها وشركة همبرغ واميركا بنت اربع بواخر جديدة واستعملتهُ فيها بدلاً من الفحم فنجحت نجاحاً يذكر . وشركة لويد الالمانية الشمالية وغيرها من الشركات العظيمة حذت حذوها ايضاً

اما مزايا زيت البترول على الفحم فهي

اولاً . الاقتصاد في العمل فانهُ حيث يحرق الفحم يضطرون من حين الى آخر ان ينزعوا ما اجتمع من الرماد ويلقونهُ في البحر وذلك يقتضي وقتاً . ثم ان استعمال الزيت يغنيهم عن الوقادين ولا يحتاج معهُ الاَّ الى رجل يراقب الماء في المراجل لان تقديم الزيت للوقود يتمُّ بواسطة آلة تتحرك من نفسها

ثانياً . الاقتصاد في العمَّال اذ يستغنى بهِ عن الذين يستخدمون لتنظيف البواخر من الفحم وآثارهِ

ثالثاً . لا يذهب شيءٌ سدًى عند احتراق الزيت كالدخان الذي يحدث من احتراق الفحم بل ان كلَّ دقيقة من دقائقهِ تحترق وتساعد على توليد البخار

رابعاً . الاقتصاد في المكان اذ يمكن في البواخر ان يخزن الزيت في اماكن لا تصلح لخزن الفحم ولا لشيءٍ آخر فيستعمل المكان المعدُّ لخزن الفحم في البواخر الآن لوضع الشحن والبضائع . وحيث يخزن الزيت لا يتكون

صداً . ثم ان طن الزيت يقتضي فسحة ٣٥ قدماً وطن الفحم ٤٤ قدماً . وقد ظهر من التجارب ان رطل الزيت يبخر نحو ١٩ رطلاً من الماء على حين ان طن الفحم يبخر ١٥ رطلاً فقط

خامساً. ان الزيت اصلح للوقود في المعامل من الفحم لانهُ اجمع للحرارة منهُ

وهناك مزايا اخرى للزيت منها انهُ احفظ للمراجل من العطب ولا يتصاعد منهُ دخان يعمي الابصار مثل دخان الفحم ولا شرار يتعرض بهِ الشحن لخطر الاحتراق ولا غبار يسوِّد ما على ظهر البواخر من البضاعة

سرعة التلغراف

اخترع احد العلماء آلة لتلغراف مركوني يمكن ارسال خمس مئة كلمة بها في الدقيقة ولا ينفق من القوة على ذلك اكثر من ٢٥ في المئة زيادة عن الآلات العادية

اكبر السراطين

أُتي الى معرض التاريخ الطبيعي في اميركا بسرطان عنكبوتي ياباني طولهُ اذا بسط ساعديهِ ١٢ قدماً وهو اكبر سرطان رُئي حتى الآن . ومن غرائب هذا السرطان انهُ يقتلع من البحر نتفاً من الاسفنج ويبلها بلعابهِ وهو غروي ويلصقها ببدنهِ فيتغيَّر شكلهُ ويتعذَّر تمييزهُ عمَّا حولهُ وهو يفعل ذلك تنكُّراً

وأُتي الى هذا المعرض ايضاً بكركند يقال انهُ اكبر ما وُجد من نوعهِ حتى الآن طولهُ نحو متر وثقلهُ ٣٤ رطلاً

نقل القوة بالكهربائية

شاع الآن تحويل القوة المائية الميكانيكية الى كهربائية ونقلها الى اماكن بعيدة وردها الى قوة ميكانيكية ففي اسبانيا آلتان قوة احداهما ٤٠٠٠ حصان وقوة الاخرى ٦٠٠٠ حصان نقلت الاولى مسافة ٢٨ ميلاً والثانية مسافة ٥٠ ميلاً وفي فرنسا آلة قوتها ٧٠٠٠ حصان تنقل مسافة ٣٢ ميلاً ويراد الآن اقامة آلة على نهر سلينا في شمالي ايطاليا قوتها ١٣٠٠٠ حصان ونقلها مسافة ٥٦ ميلاً

كتب البابليين القديمة

كشفت اربع مئة صفيحة من صفائح الاجر البابلية في مكان اسمهُ نشان الاسود يظهر ممَّا هو مكتوب فيها انها كانت كتباً للتعليم بعضها قاموس في اللغة البابلية وبعضها نشيد ينشد في احتفال المعبود ماردك

اكبر بالون حربي

عزمت نظارة الحربيَّة الانكليزية على عمل بالون حربي طولهُ ١٨٠ قدماً وقطرهُ الاطول ٧٢ قدماً ويكون فيهِ آلة بخارية قوتها ١٣٥ حصاناً وهو يسع ١٥٦ الف قدم مكعَّبة من غاز الهيدروجين فقوتهُ الرافعة تساوي مئة قنطار مصري ويتَّصل بهِ سطح بمقام جناح الطائر طولهُ ١٢٠ قدماً والمظنون ان هذا

البالون يسير في الهواء بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة

آلة لحلب البقر

استنبط بعضهم آلة صغيرة لحلب البقر بقرة بقرة وهي اناء فيهِ مفرغة للهواء يتصل بها انبوب كاوتشوك لهُ اربعة كؤُوس توضع على حلمات ضرع البقرة. والآلة مصنوعة على اسلوب حتى تمتص اللبن من الضرع ولا تضرُّ بهِ ولا بالحلمات

اسود الاسيتيلين

اسود الاسيتيلين مادة سوداء كالهباب الذي يستعمل في عمل الدهان الاسود والحبر الاسود وتفضَّل عليهِ لان ليس فيها مادة دهنية ولكن طريقة عملها تجعلها غالية الثمن فاذا وجدت طريقة تقل بها نفقات استحضارها قامت مقام الهباب

وصية سسل رودس

اثبت المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ان سسل رودس جعلهُ اوَّلاً وصيًّا على كل امواله يتصرَّف فيها كيف شاء لانهُ رآهُ الرجل الذي يفهم مقاصدهُ ويستطيع ان يعمل بها بعدهُ . ثم غيَّر وصيتهُ واشرك مع ستد آخرين . ولما حمل ستد حملاتهِ المنكرة على الذين حسب انهم اضرموا نار حرب الترنسفال غيَّر رودس وصيتهُ واخرج اسم ستد من عداد الاوصياء لاعتقادهِ انهُ لا يتفق معهم لكنهُ بقي حتى مماتهِ يعد نفسهُ واللورد ملنر من تلامذة ستد

جرأة سسل رودس

مُلئت جرائد الانكليز ومجلاتهم في الشهر الماضي من الكلام على سسل رودس ومما ذكرتهُ بعضها انهُ لما زار امبراطور المانيا منذ مدة قال لهُ "اني اشكرك على التلغراف الذي بعثت بهِ الى كروجر فاني كنت آتياً الى انكلترا وانا احسب انهم سيجلدونني كولد مذنب ولكن لما تكرَّمت بارسال التلغراف الى كروجر جلدوك انت بدلاً مني"

وروت ايضاً انهُ لما وضع امبراطور المانيا شروط سكة الحديد التي يراد مدها في جنوبي افريقية لتصل بالسكة المصرية قرأها على رودس وقال لهُ اظنك راضٍ بهذه الشروط فقال رودس كلاَّ الاَّ اذا كنت اود ان اعلن افلاسي فاستغرب الامبراطور ذلك وقال لهُ ماذا تعني فقال انكم وضعتم في الشروط شرطاً مؤَداهُ انهُ اذا اعتدى احد على الخط فحكومتكم تدافع عنهُ وانا ادفع النفقات فهب انكم ارسلتم جيشاً عرمرماً الى هناك واضطررتموني الى دفع نفقاتهِ فاني اضطر ان اعلن افلاسي حالاً . فضحك الامبراطور وحدَّد النفقات التي يلتزم رودس بها باربعين الف جنيه على الاكثر فرضي رودس بذلك

وقال لهُ الامبراطور اني ارجو ان يتم

انشاء الخط في سنتين او ثلاث فقال رودس اما انا فلا اظن ذلك ممكناً لان الالمان الذين في افريقية من اكسل الناس واضعفهم همةً وانا متأكد انهم لا يتممون هذا الخط في سنين كثيرة

فان كانت هذه الروايات صحيحة فاما ان يكون رودس من نوادر الرجال في حرية اللسان او يكون مالهُ الكثير جرّأهُ على هذا الكلام وانطقهُ بهذه الصراحة

اخلاق سسل رودس

يظهر مما قرأناهُ عن هذا الرجل باقلام اصدقائهِ وغيرهم وما رووهُ عنهُ من النوادر وما اقتبسوهُ من اقوالهِ وخطبهِ وكتبهِ انهُ كان شفوقاً على ابناء نوعهِ يحسب التديُّن الحقيقي المقبول عند الله السعي في اصلاح شأْن الناس وكان يكرم خدمة الدين ويجلهم كثيراً اذا رأى انهم اختاروا هذا السبيل لكي يبذلوا كل قواهم لافادة نوع الانسان. وانهُ انما ربط المال الطائل للتلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ لكي يستطيعوا ان يعاشروا الناس الذين من الطبقات العليا وهم يتعلمون حتى لا تفوتهم فائدة

ولما صارت ادارة مناجم الماس الى يدهِ غرس الحدائق والبساتين لاجل نزهة العمال وبنى لهم البيوت وانشأ المكاتب والاندية العلمية والادبيَّة لكي تصلح حالهم ويجدوا لذة في الحياة واشترى اثمن الجياد واجود انواع المعزى ورباها في جنوبي افريقية لكي يكثر نسلها فيهِ وانفق الاموال الطائلة على اعمال الري وكانت يدهُ مفتوحة دائماً لاصدقائهِ وغيرهم ينفق بسخاء حاتمي. قال احد الكتَّاب وانا نفسي اعرف مئات بل الوفاً من الشبان ابتدأُوا في الحياة وهم لا يملكون شيئاً فساعدهم بمالهِ حتى نجحوا. واعرف مئات من النساء ساعدهنَّ بسخائهِ. ولما عاد من بلاد المتابيل وكان في ضيقة مالية على نوع ما انفق في ثلاثة ايام سبعة عشر الف جنيه لمساعدة المعوزين

وكان يقوم باكراً الساعة السادسة صباحاً ويركب في مزارعهِ الى الساعة التاسعة ويعود ويفطر ويشتغل الى وقت الغداء فيأكل قليلاً ويعود الى الشغل حتى العشاء ويقضي الوقت بعد العشاء في الكلام مع زوارهِ في مهام الامور

وكانت نفقاتهُ على نفسهِ قليلة جدًّا لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً واذا كان مسافراً دعا كل مَن يجدهُ في طريقهِ للاكل معهُ. وكان يكرم كل انسان الاَّ الكسلان المعتمد على غيرهِ لانهُ كان يقول يجب على كل انسان ان يتعب ويكدح. وقد خسر معادن الذهب كلها اهتماماً منهُ باحد اصدقائهِ فانها عُرضت عليهِ بثمن بخس جدًّا وخُيّر في ابتياعها ولو ابتاعها لكانت ثروتهُ تقدَّر الآن بمئات الملايين من الجنيهات لكن بلغهُ حينئذٍ ان واحداً من اصدقائهِ مريض

في كمبرلي فقام لساعتهِ وركب ليذهب اليهِ فقال لهُ وكيلهُ لا يمكن ان تذهب الآن قبلما ننتهي من مسألة المعادن فقال لا بدَّ لي من الذهاب الى صديقي فارسل اليَّ تلغرافاً الى كمبرلي . وسار لساعتهِ راكباً ثلثمئة ميل وارسل اليهِ وكيلهُ تلغرافات كثيرة فلم يعبأ بها لانهُ كان جالساً امام سرير صديقهِ والمرجح انهُ لم يفتحها ولو فتحها واجاب بالايجاب لمات عن ثروة لا مثيل لها في المسكونة

تهوية المنازل

اثبت احد العلماء سنة ١٨٧٨ ان الهواء ينفذ جدران غرفة مقفلة بسرعة تتوقف غالباً على ما بين الهواء الداخلي والخارجي من الفرق في الحرارة بشرط ان يكون الهواء الخارجيُّ اوطأ حرارة . ووجد ايضاً انهُ اذا كان ثخن الجدران اعتيادياً وكانت حرارة الهواء الخارجي اوطأ من حرارة هواء الغرفة باربع عشرة درجة بمقياس سنتغراد تغير ١٤/١ من هواء الغرفة عن كل درجة في الساعة وبعبارة اخرى تغيَّر هواء الغرفة كلهُ في مدة ساعة بمرور الهواء داخل في الجدران

وابان غيرهُ من عهد قريب انهُ اذا كانت سعة الغرفة ٦٠ يرداً مكعباً وكانت جدرانها من الحجر ولكنها مغطاة بالورق من الداخل تغير الهواء بمعدل ٤٠/١ من حجمهِ عن كل درجة في الساعة . واذا كان الورق مدهوناً بالزيت والفرنيش قلَّ اختراق الهواء للجدران وبعكس ذلك اذا لم يلصق على الجدران ورق ولا غيرهُ فان الهواء يتخللها بسهولة . وعليهِ فكلما كانت جدران المنزل ساذجة سهل نفوذ الهواء فيها . وكلما زاد الفرق بين حرارة الهواء الخارجي والداخلي اسرعت تهوية المنزل على هذه الطريقة

لا بدَّ من سيد

كتب مارك توين الكاتب الشهير في مجلة اميركا الشمالية يقول انه لا بدَّ للناس من سيد يكرمونهُ (وذلك على اثر زيارة البرنس هنري البروسي للولايات المتحدة الاميركية وما لقيهُ فيها من التجلة والاكرام) وكلهم من الامير الكبير الى الصعلوك الحقير متساوون في حب الامتياز والتباهي ولذلك يودون التقرُّب من الملوك والعظماء لان فيهِ امتيازاً لهم على غيرهم بل هم يرغبون في الامتياز ولو كان باكرام الحيوانات البكماء لهم . والتفت الى الاميركيين وقال انهم يدَّعون انهُ لا يهمهم التقرُّب من الملوك والعظماء ولكن الذي لا يود ان تصوَّر صورتهُ مع البرنس هنري مثلاً لم يولد حتى الآن

المرأة التركية

انشأت السيدة ماري بترك رئيسة مدرسة النساء الاميركية في الاستانة مقالة في مجلة اميركا الجنوبية عن نساء الاتراك قالت فيها انهنَّ جارين النهضة العلمية الحديثة مجاراة حقيقية

والمرأة التي تراها في السوق والبشمك على وجهها والاغا ماشٍ وراءها قد يكون عقلها مشتغلاً بموضوع علمي تكتب فيهِ مقالة لاحدى الجرائد او بموضوع سياسي او اجتماعي . وكثيرات من نساء الاتراك جعلنَ يتعاطين الاعمال المختلفة ومنهنَّ من ترافع عن نفسها في مجالس القضاء . ومنذ سنوات قليلة انشأ رجل مجلة للنساء كانت مكتوبة باقلامهنَّ . وقد انشأَت امرأة مقالات علمية متتابعة في احدى الجرائد اليومية منذ عهد قريب والَّفت امرأة اخرى كتاباً في علم التعليم وشرعت امرأة ثالثة في كتابة تفسير للقرآن . وبعض هؤلاء النساء شرعنَ يتعلمن بعد ان تزوجنَ . وللنساء التركيات ميل الى درس اللغات الاجنبية فيتعلمنَ لغتهنَّ ولغتين او ثلاثاً من اللغات الاوربية

ماس غربي افريقية

صدر من الماس من مدينة الراس في العام الماضي ما ثمنهُ ٤٩٣٠١٠٤ جنيهات اي نحو خمسة ملايين من الجنيهات

ما تعلّمهُ حرب البوير

نشرت مجلة ادنبرج مقالةً موضوعها ما تعلّمهُ الحرب بيَّنت فيها ان حرب البوير الحالية اثبتت الحقائق التالية وهي

اولاً فائدة البنادق البعيدة المرمى في صد العدو المهاجم

ثانياً فائدة الخنادق في الدفاع

ثالثاً عدم نفع الهجوم على عدو متحصن في الخنادق

رابعاً عدم نفع المدافع اذا أُطلقت على عدو متحصن في الخنادق

خامساً فائدة الواقيات التي تستعمل لوقاية الجيش وهو هاجم على عدو مسلَّح ببنادق بعيدة المرمى

سادساً ترجيح فائدة الخنادق في الهجوم ايضاً

ضرر الحشرات

كتب بعضهم في مجلة المعاصر ان الحشرات تتلف من زارعة حشيشة الدينار في بلاد الهند ما قيمتهُ ٩١ مليون جنيه في السنة وان داء اوراق البن يتلف في جزيرة سيلان في السنة ما قيمتهُ ١٥ مليون جنيه وداء العفن يتلف من الحنطة في استراليا ما قيمتهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات . الاَّ ان الحكومات المتمدنة باذلة جهدها في مقاومة فعل الحشرات ونحوها مما يضرُّ بالزراعة وتقوية ما يفيدها والحكومة الاميركية في مقدَّمتهنَّ لانها تنفق ستمئة الف جنيه في السنة في هذا السبيل

تغيُّر الثقل

من المسلمات ان ثقل الاجسام لا يتغير ما دامت في مكان واحد بالنسبة الى الارض

لكن احد العلماء بيَّن انهُ اذا اذيب كبريتات النحاس في الماء تغيَّر وزنهُ قليلاً . وقد اعترض اللورد ريلي على ذلك وحاول اثبات فسادهِ بادلَّة علمية . فردَّ عليهِ احد العلماء قائلاً انهُ اذا اثبتت التجارب تغيُّر الوزن فالادلة العلمية او القواعد العلمية التي تنفي ذلك تصير من المسلمات التي يعتقد الناس صحتها اعتقاداً ولو لم تنطبق على الواقع . والظاهر ان بقاء الوزن على حالهِ وبقاء القوة على حالها لا يؤْخذان على اطلاقهما بل هما تقريبيَّان يصدقان الى حد محدود لا يبلغ جزءًا من مليون جزءٍ من الوزن والقوة

نازلة مرتنيك

وصفنا هذه النازلة في مقالة خاصَّة في هذا الجزء وجاءتنا المجلات العلميَّة بعد كتابة ما كتبناهُ بذكر ما حدث بعد ذلك وهو

في ١٨ مايو ثار بركان السوفرير في سنت فنسنت بين الساعة ٨ ١/٢ مساء ونصف الليل وخرجت منهُ اصوات كالرعد القاصف وكانت البروق متصلة فوق قمتهِ

١٩ مايو ثار بركان بيلي ثوراناً عظيماً وخرجت منهُ حمم اكثر ممَّا خرج منهُ في ٨ مايو لما طمر مدينة سن بير وجرت الحمم منهُ في النهر الكبير وخرَّبت المباني والمزارع التي لم تخربها قبلاً

٢٠ مايو قذف هذا البركان طيناً وحجارة حامية غطَّى بها اكثر جزيرة مرتنيك وانتشر القتام فوق مدينة فور ده فرانس وكانت البروق تتراسل فيهِ

٢١ مايو عاد بركان بيلي الى الثوران

٢٢ " جرت الحمم من الفوهة الجديدة في شماليهِ نهراً واسعاً حتى بلغت البحر

٢٤ عادت الحمم والطين تجري منهُ في الجهة الشمالية فجرفت ما بقي من مدينة باس بوانت وانثغر في جانبهِ ثغرة جديدة . وكانت الحمم لا تزال تجري من السوفرير . وامطرت السماء مطراً دمويًّا في مدينة همبرج وما حولها باوربا وثبت ان احمراره ناتج عن وجود حشرات صغيرة فيهِ والمظنون ان الغبار البركاني المقذوف من بركان مرتنيك دفعها امامهُ فامتزج بها ماء المطر

٢٥ مايو خمد بركان بيلي قليلاً ولم يعد يقذف الاَّ الرماد وقد غطى بهِ الجزيرة في اقصى الشمال . ووقع ثلج رمادي اللون في سويسرا ظهر ان فيهِ رماداً

٢٧ مايو عاد ثوران بيلي فاشتدَّ وامطر رماداً وحجارةً على شمالي الجزيرة واطبق الجو بالسحب الكهربائية

والمرجح الآن ان سكان سن بير مات اكثرهم اختناقاً بغاز الحامض الهيدروكلوريك الناتج من انحلال ملح ماء البحر فان ماء البحر يغور في الارض فيصل الى اماكن شديدة الحمو فيسخن ويتبخر وينحلُّ ويسبّب ثوران

البراكين. والذين قتلهم بركان السوفرير قتلهم برمادهِ الحامي او بالصواعق التي كانت تتردَّد في ابخرتهِ. اما النار التي اكتنفت مدينة سن بير في الثامن من الشهر فسببها ان ماء البحيرة التي كانت في جبل بيلي غار في جوف البركان وقتما انفجر فانحلَّ من شدَّة الحرارة الى غازيهِ واشتعل وانقذف لهبهُ مع ما انقذف من البركان فغمر المدينة

والظاهر ان العجماوات ادركت اقتراب الثوران قبل حدوثهِ فغادرت الجبل كلها لانها شعرت باضطراب الارض ولو كان ضعيفاً وسمعت الاصوات التي في باطن الجبل

وقد اتضح الآن ما ظنناهُ من سبب هذا الثوران وهو ان ارض الحوض الذي تحيط بهِ سلسلة الجزائر التي منها مرتنيك وسنت فنسنت خسفت وبلغ انخسافها نحو ٦٠٠ قدم في بعض الاماكن ومعلوم ان الضغط الناتج من ذلك يدفع المواد الحارة التي في باطن الارض فتطلب لها منفذاً ما . والجبال كلها منافذ لانها تكونت بفعل بركاني فنفذت من جبل بيلي والسوفرير وساعدها على ذلك ان ماء البحر دخل باطن الارض لما انخسفت فمددتهُ الحرارة وصعد مع المواد التي اندفعت منها . والظاهر ان هذا الانخساف مرتبط بالزلزلة التي حدثت في التاسع عشر من ابريل واماتت خلقاً كثيراً في تلك الجهات

ويقدَّر الآن عدد الذين اماتهم ثوران بيلي باربعين الفاً وعدد الذين اماتهم ثوران السوفرير بالفين فقط

مقام سسل رودس

كتبت مجلَّة العلم العام الاميركية فصلاً وجيزاً عن وصية سسل رودس فضلتهُ فيهِ على نبوليون وبسمارك فقالت انهُ يشبه نبوليون وبسمارك في انهُ جمع في شخصهِ الصفات التي يسود بها المرء على غيرهِ وانهُ كان مثلهما يسير في وجهتهِ غير مكترث لشيءٍ ولكن نبوليون ضحَّى كل شيءٍ لاجل مطامعهِ الذاتية وبسمارك قصر اهتمامهُ على ما يعظم بهِ شأن مولاهُ واما رودس فبذل النفس والنفيس في انشاء مملكة قاصراً همَّهُ على المملكة البريطانية ثم على شعب الانجلوسكسون ثم على الامم الالمانية ثم على العالم. ولقد كان من اهل الاماني ولكنهُ اثبت للملإ ان امانيهُ تصير حقائق ومن المرجح ان تتحقق كل الامور التي اوقف ثروتهُ لها

قانون الاستحقاق

يظهر لمن يطالع وصية سسل رودس الاخيرة انهُ جعل قانون الاستحقاق لنيل المال الذي اوصى بهِ لتعليم التلامذة في مدرسة اكسفرد غير ما تجري عليهِ المدارس الآن فانهُ بنى استحقاق التلميذ اولاً على معارفهِ العلمية والادبية

وثانياً . على مهارتهِ في الالعاب الرياضية او محبتهِ لها

وثالثاً . على اخلاقهِ الادبية كالصدق والشجاعة والقيام بالواجب والرفق بالضعيف وايثار الغير على النفس

ورابعاً . ظهور صفات فيهِ تدل على انهُ مخلوق ليقود غيرهُ ويهتم بامر اخوانهِ التلامذة

واذا كانت العلامات التي تعطى لهُ مئة فيعطى على الشرط الاول ٣٠ وعلى الثاني ٢٠ وعلى الثالث ٣٠ وعلى الرابع ٢٠ . وعلامات الشرط الاول تكون بالامتحان والشرط الثاني باقتراع اخوانهِ التلامذة والثالث باقتراع المرشحين معهُ للانتخاب والرابع باقتراع اساتذتهِ فجعل حق التلامذة مثل حق الاساتذة في اختيارهِ

رخص المعيشة في الصين

كتب بعضهم في مجلة كاسيرعن احوال الصين والصينيين قال ان العامل الفقير في بلاد الصين يأكل في السنة كلها ما يساوي ١١ شلناً او اقل من ٥٤ غرشاً بسبب رخص المعيشة هناك وان العامل منهم يكتفي بغرش واحد في النهار. ولذلك نستغرب كيف تروج عندهم البضائع الاوربيَّة وكيف لا يناظرون الاوربيين في ميدان الصناعة . ومن رأي كاتب هذه المقالة انهُ يستحيل على دول اوربا ان تمتلك بلاد الصين او تقتسمها وعلى الشركات الاوربيَّة ان تنجح فيها وتربح منها لان الصينيين لا يسلمون بذلك وليس من السهل ابتزاز شيء منهم

رئيس ولايات اميركا

يرد على رئيس ولايات اميركا ١٢٠٠ رسالة كل يوم . وهو يقابل كل من يطلب مقابلتهُ عن يد احد اعضاء مجلس الشيوخ او احد النواب في اربعة ايام من الاسبوع من الساعة العاشرة صباحاً الى الثانية بعد الظهر . ويقال ان ذلك يشغل جانباً كبيراً من وقتهِ ويصرفهُ عن مهام البلاد ولا بدَّ من سن قانون يعفيهِ من هذه المقابلات

الاستاذ كورني

الاستاذ كورني استاذ الطبيعيات في مدرسة البوليتكنيك بفرنسا من اشهر اساتذة العلوم الطبيعيَّة ولد سنة ١٨٤١ ودرس في هذه المدرسة واختير استاذاً فيها سنة ١٨٦٧ وعمرهُ ٢٦ سنة فبقي في هذا المنصب الى حين وفاتهِ وقد اشتغل اولاً بقياس سرعة النور فقاس سرعتهُ بالتدقيق ومنح جائزة لاكاز وجُعل عضواً في اكادمية العلوم ثم جعل يشتغل بالحل الطيفي وقاس طول امواج اشعة الهيدروجين ومقدار امتصاص الهواء لاشعة النور ولما كثر احمرار الشفق والفجر في اواخر سنة ١٨٨٣ اثبت ان ذلك حادث من تشرُّف النور بدقائق الغبار المنتشرة في الهواء آتية من ثوران بركان كراكاتوى

واشتغل بالسمعيات كما اشتغل بالبصريَّات ثم بالكهربائية ونقل القوة بها. وكان الانكليز

يكرمونهُ كما يكرمهُ الفرنسويون واستدعوهُ لتقديم الخطبة المعروفة بخطبة ريد في مدرسة كمبردج وقد ترجمنا هذه الخطبة ونشرنا في الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف الصادر في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ . وكانت وفاتهُ في اواسط شهر ابريل الماضي

بطرية اديصن

قال المستر اديصن انهُ تمكن من عمل بطرية للمركبات التي تسير بها مسافات طويلة. وقد جربت مركبة منها فسارت ٦٢ ميلاً في طريق وعرة . وجربت مرة أُخرى فسارت ٨٥ ميلاً في طريق اعتيادية

اما البطرية فقد وصفها لاحد زائريهِ فقال ان في معظم البطريات المستعملة الآن ثقيل جدًّا . والواحدة منها لا تسير اكثر من خمسين ميلاً بلا تجديد قوتها وهذا يقتضي عدة ساعات اما بطريتي فمؤلفة من الواح صغيرة مصنوعة من النكل والصلب (الفولاذ) مغموسة في محلول قلويّ . وعلوُّها ١٢ عقدة وطولها ٦ عقد وعرضها ٤ تقرب من حجم البطريات المستعملة الآن غير ان خفة الواحها تمكنني من ان استخرج قوة حصان واحد من ثقل ٥٣ رطلاً . وهي تسيّر المركبة مئة ميل بلا تجديد قوتها. ثم اذا اريد تجديدها اقتضى ذلك وقتاً قصيرًا . وتُفني عدة مركبات قبلما تفنى

معادن اميركا

بلغت قيمة الذهب الذي استخرج من الولايات المتحدة الاميركية في العام الماضي ٨٠٢١٨٨٠٠ ريال اي اكثر من ١٦ مليون جنيه وقيمة الفضة ٣٥٧٩٢٢٠٠ اي اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات وبلغ مقدار الحديد الذي استخرج منها نحو ١٧ مليون طن

عاقبة الثوران

ظنَّ البعض ان جزيرة مرتنيك ستغور في قاع البحر على اثر ثوران بركانها لكن الدلائل كلها تدل على انها ستزيد ارتفاعاً واتساعاً واذا خمد بركانها ومرَّت عليهِ السنون خامدًا فلا يبعد ان يعود اليها الناس ويسكنونها كما سكنوها قبلاً

تأثير الثوران البعيد

لما ثار بركان بيلي اثَّر ثورانهُ في اماكن كثيرة بعيدة عن مرتنيك ففي جزيرة دومينيكا شمالي مرتنيك كانت بحيرة ماؤُها سخن في درجة الغليان طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ٢٠٠ قدم فغارت مياهها في ١١ مايو ولم يبقَ لها اثر وفي اليوم التالي اشتدَّت حرارة الينابيع الحارَّة في جزيرة جمايكا . وبدت من بركان كوليما في بلاد المكسيك علامات الثوران في ١٢ مايو وزلزلت الارض في كاليفورنيا في ١٨ منهُ

فهرس الجزء السادس من المجلد السابع والعشرين

٥١٣ تتويج ملك الانكليز (مصوَّرة)
٥٢١ نشأة اوربا المدنيَّة
٥٢٩ عروسة النيل
٥٤٠ الصحيح من الفراسة
٥٤٢ العيون الصناعيَّة . للدكتور شدودي
٥٤٦ معرض شقاء . لاسعد افندي داغر
٥٥٠ اسباب الوراثة
٥٥٤ فتح المكسيك
٥٦٠ خرائب الشام (مصوَّرة)
٥٦٨ اكبر الخادعات
٥٧٢ نازلة مرتنيك
٥٧٦ النيران في القطر المصري
٥٧٨ رجال المال والاعمال (مصوَّرة)

٥٨٤ باب المراسلة والمناظرة ✲ الماسونية في فرنسا · اختلاف الاديان
٥٨٧ باب الزراعة ✲ زرع القطن المصري في اميركا · السباخ البلدي . غلة القطن هذا العام
٥٩٢ باب التقريظ والانتقاد ✲ اسرار البلاغة . مجموعة حقوقية طبية هندسية · الدنيا في باريس . الغادة السورية في الديار الاميركية . كنز الجوهر في تاريخ الازهر . الامومة عند العرب
٥٩٧ باب المسائل ✲ سمك الآبار الارتوازية . مطر الفيران . زيت الزيتون والبترول . مشتركو التيمس . العقدة . الخمر والماء · تلغراف مركوني في الحرب . تكبير المقتطف · عمل الشيطان · احضار الارواح . حقيقة السحر . الاختيار والاضطرار · علاج القرع · حظ العلماء · اتلاف الخلد
٦٠٢ باب الاخبار العلمية ✲ وفيهِ ٤٢ نبذة